الفتوحات الإسلامية

عبد العزيز الشناوى

مكتبة الإيمان بالمنصورة

الطبعة الأولى
١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م

مكتبة الإيمان بالمنصورة
أمام جامعة الأزهر
تليفون: ٣٥٧٨٨٢

فتح مكة

* كلمة عن صلح الحديبية

لما قاضى السراج المنير ﷺ قريشا عام الحديبية فى العام السادس من الهجرة وكتب القضية على الهدنة:

من أحب أن يدخل فى عهد محمد ﷺ دخل، ومن أحب أن يدخل فى عهد قريش دخل، وأنه من أتى قريشا من أصحاب رسول الله ﷺ لم يردوه، ومن أتاه منهم ومن حلفائهم رده، فقام من كان من كنانة وقالوا:

- ندخل فى عهد قريش ومدتها

وقامت خزاعة فقالت:

- ندخل فى عهد محمد وعقده

وقد كان بين عبدالمطلب بن هاشم جد رسول الله ﷺ وخزاعة حلف قديم فلذلك قال عمرو بن سالم بن حصيرة الخزاعى:

لاهم إنى ناشد محمدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا

ثم إن رجلا من خزاعة سمع رجلا من كنانة ينشد هجاء فى صاحب الخلق العظيم ﷺ فوثب عليه فشجه فهاج ذلك بينهم الشر والقتال وأعانت قريش بنى **كنانة وخرج منهم رجال مستخفين فيهم: صفوان بن أمية، حويطب بن عبدالعزى، عكرمة بن أبى جهل، وشيبة بن عثمان، سهيل بن عمرو وظنوا أنهم لم يعرفوا، فبيتوا خزاعة ليلا وهم غافلون فقتلوا منهم رجالا فكان ذلك مما نقضوا العهد والقضية.**

وقدم على رسول الله ﷺ عمرو بن سالم الخزاعى يستنصر نبى الوفاء ﷺ **فدعاه ذلك إلى غزو مكة**

وخشيت قريش أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ فمظاهرتهم لبنى بكر نقض صريح للعهد الذى بينهم وبين أبى القاسم ﷺ وقد يهيج ذلك الحدث المسلمين ويحركهم للمسير إلى مكة، فندموا على ما فعلوا وبعثوا أبا سفيان بن حرب إلى رسول الله ﷺ فى تجديد العهد وزيادة المدة

ولكن الذى لا ينطلق عن الهوى ﷺ لم يرد على أبا سفيان بن حرب ...

*** إمام الخير ﷺ يأمر المسلمين بالجهاز**

كان أبو القاسم ﷺ **إذا أراد غزوة ورى بغيرها،** فلماهم عليه الصلاة والسلام بغزو أهل مكة أمر المسلمين بالجهاز **وطوى عنهم الوجه الذى يريده،** وأرسل إلى أهل البادية ومن حوله من المسلمين فى كل ناحية يقول لهم:

ـ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة

فقدمت مدينة رسول **الله** ﷺ من قبائل العرب: أسلم، غفار، مزينة، **وأشجع، وجهينة، حتى إذا ما اكتمل عقد المسلمين أعلم النذير البشير ﷺ المسلمين أنه سائر إلى مكة**

ثم قال طبيب القلوب والنفوس والعقول ﷺ:

ـ اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها، اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلا بغتة ولا يسمعون بنا إلا فجأة

ووقف بكل طريق جماعة ليعرف من يمر بها،وقال لهم عليه الصلاة والسلام:

ـ لا تدعوا أحدًا يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه

*** كتاب حاطب بن أبى بلتعة إلى أشراف مكة**

رأى الصحابى الجليل حاطب بن أبى بلتعة أن يبعث إلى سادات مكة: سهيل ابن عمرو، صفوان بن أمية، عكرمة بن أبى جهل، حويطب بن عبدالعزى كتابا يخبرهم فيه أن رسول **الله** ﷺ قد خرج قاصدا مكة وكتب فى هذا الكتاب:

إن رسول الله ﷺ قد توجه إليكم بجيش كالليل، يسير كالسيل، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده **لينصرنه الله تعالى عليكم فانه منجز له ما وعده فيكم،** فان الله تعالى ناصره ووليه، **وقد أحببت أن تكون لى يد بكتابى إليكم.**

وراح حاطب بن أبى بلتعة يفكر فيمن يبعث معه بالكتاب إلى أشراف قريش وتذكر سارة **مولاة لبعض بنى عبدالمطلب، كانت مغنية بمكة، وكانت قد قدمت**

المدينة وطلبت من رسول الله ﷺ الميرة وشكت الحاجة فحث نبى الرحمة ﷺ بنى عبدالمطلب وكسوها وأعطوها نفقة وحملوها.

اطمأن حاطب بن أبى بلتعة إلى سارة وأعطاها بردة وعشرة دنانير ففرحت بها وحملت كتاب حاطب وانطلقت إلى مكة وهى فرحة بما أخذت من حاطب وبما ينتظرها من خير وفير عندما تضع الكتاب فى أيدى سادات قريش.

لكن الوحى الإلـهى يخبر رسول الله ﷺ بكتاب حاطب قبل أن تصل الظعينة مكة فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ لعلى بن أبى طالب، والزبير بن العوام، المقدام بن عمرو:

ـ انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ـ موضع بين مكة والمدينة ـ فان ظعينة ـ امرأة فى هودج ـ معها كتاب من حاطب بن أبى بلتعة إلى المشركين يحذرهم ما قد جمعنا من أمرهم، فخذوه منها وخلوا سبيلها، فان أبت فاضربوا عنقها

فخرجوا فأدركوا سارة فقالوا لها:

ـ أين الكتاب؟

فقالت سارة:

ـ ما معى كتاب

قالوا:

ـ لتخرجين الكتاب أو لتلقين الثياب

فحلفت بالله ما معها من كتاب

فاستنزلوها وفتشوها والتمسوا فى رحلها فلم يجدوا شيئا فقال على بن أبى طالب:

ـ إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ قط ولا كذبنا، ولتخرجن هذا الكتاب أو لنكشفنك أو أضرب عنقك

فلما رأت سارة الجد من أبى الحسن قالت:

ـ أعرض.

فلما أعرض على بن أبى طالب حلت سارة قرون رأسها واستخرجت

أخذ على الكتاب وانطلق راجعا إلى مدينة رسول الله ﷺ فتبعه الزبير والمقداد ولما قدم على الكتاب إلى رسول الله ﷺ بعث الى حاطب بن بلتعة وقال له:

ـ ما هذا يا حاطب؟

قال حاطب بن أبى بلتعة:

ـ لا تعجل على يا رسول الله

قال صاحب الخلق العظيم ﷺ:

ـ ما حملك على ما صنعت يا حاطب؟

قال حاطب بن أبى يلتعة:

ـ يا رسول الله إنى كنت غريبا فى قريش ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بهم أهليهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتنى ذلك من نسب فيهم أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى، وما فعلت ذلك كفرا وارتدادا عن دينى ولا رضاء بالكفر

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ:

ـ صدق

فقال عمر بن الخطاب:

ـ يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق

قال طبيب القلوب والنفوس ﷺ:

ـ إنه قد شهد بدرًا فما يدريك لعل الله أطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ـ فقد وجبت لكم الجنة ـ

فنزل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ

وَمَن يَفْعَلْهُ منكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ① إن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾سورة الممتحنة الآية: ١-٢

*** إسلام أبى سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب**

خرج المبعوث للناس كافة ﷺ بجيشه من المدينة يوم العاشر من رمضان من العام الثامن من الهجرة ومعه عشرة آلاف رجل من المسلمين، واستحلف على المدينة أبارهم كلثوم بن الحصين بن عتبة بن خلف الغفارى، وخرجوا صائمين، وفى الطريق أمر نبى الرحمة ﷺ أصحابه **أن يفطروا تيسيرا عليهم وتخفيفا عنهم**

وفى الطريق إلى مكة لقى رسول الله ﷺ عمه العباس بن عبدالمطلب فقال له عليه الصلاة والسلام:

ـ أنت آخر المهاجرين وأنا آخر الأنبياء

فأمره رسول الله ﷺ أن يرسل رحله إلى المدينة ويعود معه

اعترض جيش رسول الله ﷺ أبو سفيان بن الحارث ـ كان يؤذى رسول الله ﷺ بشعره وسيفه ـ وابنه جعفر، عبدالله بن أبى أمية بن المغيرة ـ ابن عاتكة بنت عبدالمطلب عمة رسول الله ﷺ وأخو أم المؤمنين أم سلمة ـ

دخل عبدالله بن أبى أمية على أخته أم سلمة وقال لها:

ـ يا أم المؤمنين اسألى رسول الله أن يعفو عنا

فقالت أم سلمة لنبى الرحمة ﷺ:

ـ يا رسول الله ابن عمك، وابن عمتك وصهرك لا يكونا أشقى الناس بك

فأعرض أبو القاسم ﷺ عنهم وقال:

ـ لا حاجة لى بهما أما ابن عمى فهتك عرضى، وأما ابن عمتى وصهرى فهو الذى قال بمكة ما قال

فلما علم أبو سفيان بن الحارث بقول المبعوث رحمة للعالمين ﷺ قال:

ـ والله ليأذن لي أو لآخذن ابني هذا فلأذهبن فلا يدرى أين أذهب

ورأى أبو سفيان بن الحارث أبا الحسن فقال لابن عمه:

ـ ائت رسول الله ﷺ من قبل وجهه فقل له ما قال اخوة يوسف ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾سورة يوسف الآية: ٩١

فدخل أبو سفيان بن الحارث وابنه جعفر وعبدالله بن أبى أمية على صاحب الخلق العظيم ﷺ فحول وجهه، فلما رأى أبو سفيان بن الحارث ذلك آتاه من الناحية الأخرى، فأعرض النبى ﷺ فقال أبو سفيان:

ـ ﴿تا الله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين﴾

فرق حينئذ له المبعرث رحمة للعالمين ﷺ وقال:

ـ ﴿ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوم يغفرُ اللهُ لكم وهُو أرْحَمُ الرَّاحمِينَ ﴾سورة يوسف الآية: ٩٢

فقال أبو سفيان وابنه جعفر وعبدالله بن أبى أمية:

ـ نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمدا رسول الله

وقال أبو سفيان بن الحارث:

لعمرك أنى يوم أحمل راية ... لتغلب خيل اللات خيل محمد

لكا لمدلج الحيران أظلم ليله ... فهذا أوانى حين أهدى وأهتدى

هدانى هاد غير نفسى ودلنى ... على الحق من طردت كل مطرد

فضربه رسول الله ﷺ فى صدره وقال:

ـ أنت طردتنى كل مطرد

فأطرق أبو سفيان برأسه حياء منه، فقال أبو القاسم ﷺ:

ـ يا على علم ابن عمك الوضوء وبصره بالسنة ورح به إلى

فخرج على بن أبى طالب بابن عمه أبى سفيان بن الحارث

ثم عاد السراج المنير ﷺ فقال لعلى بن أبى طالب:

ـ ناد فى الناس أن رسول الله رضى عن أبى سفيان بن الحارث فارضوا عنه

*** إسلام أبى سفيان بن حرب**

فى قديد عقد رسول الله ﷺ الألوية والرايات ودفعها للقبائل

ولما نزل أبو القاسم ﷺ مر الظهران أمر أصحابه فأوقدوا عشرة الآف نار وجعل على الحرس عمر بن الخطاب

لم يبلغ قريش مسير خاتم النبيين ﷺ إليهم فقال الذى أوتى جوامع الكلم ﷺ :

ـ إن بمكة أربعة نفر من قريش أربأ بهم عن الشرك وأرغب بهم فى الإسلام: عتاب بن أسيد، جبير بن مطعم، وحكيم بن حزام، وسهيل بن عمرو

رق العباس بن عبدالمطلب لأهل مكة وقال لنفسه:

ـ واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأنسوه ـ يستأذنوه ـ إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر

ركب العباس بن عبدالمطلب بغلة رسول الله ﷺ البيضاء فخرج عليها وألسنة النار تتراقص وسار على ضوئها حتى جاء الأراك فقال:

ـ لعلى أجد بعض الحُطَّاب أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتى مكة يخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة .

وكانت قريش قد علمت بمسيرة أبى القاسم ﷺ ولم يعلموا إلى أى جهة، **وكانوا يرتجفون فرقا بعد أن نقضوا العهد وأخفقت سفارة أبى سفيان بن حرب فى مد المدة وتجديد العقد من أن يغزوهم، فبعثوا أبا سفيان بن حرب ليتحسن الأخبار وقالوا له:**

ـ إن لقيت محمدا فخذ لنا منه أمانا

فخرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الخزاعى لعلهم يجدون خبرًا أو يسمعون برسول الله ﷺ ، فرأوا على البعد ألسنة النيران وترامى إلى مسامعهم صهيل الخيل

فقال أبو سفيان بن حرب فى دهشة:

ـ ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا، هذه نيران عرفة

فقال حكيم بن حزام:

ـ هذه والله خزاعة حمشتها الحرب

فقال أبو سفيان بن حرب ولم يفق من دهشه:

ـ خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها

وارتفع صوت فى سكوت الليل ينادى:

ـ يا أبا حنظلة

فالتفت أبو سفيان ناحية الصوت، إنه صوت العباس بن عبدالمطلب صديقه ونديمه فقال فى لهفة:

ـ أبو الفضل؟

قال العباس بن عبدالمطلب:

ـ نعم

قال أبو حنظلة:

ـ ما لك فداك أبى وأمى؟

قال أبو الفضل:

ـ والله هذا رسول الله ﷺ فى الناس قد جاءكم بما لا قبل لكم به

فقال أبو سفيان بن حرب فى يأس:

ـ واصباح قريش والله فما الحيلة فداك أبى وأمى؟

قال العباس بن عبدالمطلب:

ـ والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتيك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك

فركب زعيم قريش خلف عم رسول الله ﷺ، ورجع حكيم بن حزام وبديل ابن ورقاء الخزاعى إلى مكة.

وجاء أبو الفضل بأبى سفيان بن حرب، وكلما مرا بنار من نيران المسلمين

فاذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ والعباس عليها قالوا:

ـ عم رسول الله ﷺ على بغلته

حتى مرا على نيران عمر بن الخطاب وكان على الحرس فقال:

ـ من هذا؟

وقام إلى العباس، فلما **رأى أبا سفيان بن حرب على عجز البغلة** قال:

ـ أبو سفيان عدو الله، الحمد لله الذى أمكن منك من غير عقد ولا عهد

ثم راح عمر يشد أبا سفيان نحو النبى ﷺ فركضت البغلة فسبقته فراح الفاروق يعدو خلفها، **وكان العباس فى سباق مع عمر إلى رسول الله** ﷺ، وعمر بن الخطاب يريد أن يأخذ منه الأمر بقتل عدو الله أبى سفيان بن حرب

ودخل العباس على النبى عليه الصلاة ولسلام ودخل الفاروق فى أثره فقال وهو يلتقط أنفاسه:

ـ هذا أبو سفيان وقد أمكن الله منه من غير عقد ولا عهد فدعنى لأضرب عنقه

فنظر العباس بن عبدالمطلب إلى عمر فى انكار ثم التفت إلى رسول الله ﷺ وقال:

ـ يا رسول الله إنى قد أجرته

ثم جلس إلى رسول الله ﷺ، فعاد عمر بن الخطاب يقول:

ـ دعنى لأضرب عنقه

فقال أبو الفضل فى غضب:

ـ مهلا يا عمر فوالله لو كان من رجال بنى عدى بن كعب ما قلت مثل هذا، ولكنك عرفت أنه من رجال بنى عبد مناف

فقال الفاروق:

ـ مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم أسلمت كان أحب إلى من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بى إلا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم

فقال رسول الله ﷺ :

ـ اذهب به يا عباس إلى رحلك فاذا أصبحت فأتنى به

فرجع العباس إلى منزله، ولما كانت صبيحة تلك الليلة توضأ رسول الله ﷺ وأصحابه

فقال أبو حنظلة :

ـ يا عباس ما رأيت كالليلة ملكا مثل هذا لا ملك كسرى ولا ملك بنى الأصفر ـ الروم ـ

ولما اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ للصلاة تساءل أبو سفيان بن حرب :

ـ ما بالهم؟ هل أمروا فى شىء؟

قال العباس بن عبدالمطلب :

ـ انهم قد سمعوا النداء إلى الصلاة فهم ينتشرون

فلما رأى أبو حنظلة المسلمين يركعون ويسجدون بسجود النبى عليه الصلاة والسلام، قال أبو سفيان :

ـ يا عباس ما يأمرهم بشىء إلا فعلوه

قال العباس بن عبدالمطلب :

ـ نعم والله لو أمرهم بترك الطعام والشراب لأطاعوه

وصحب العباس أبا حنظلة إلى نبى الرحمة ﷺ فقال :

ـ ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إلـه إلا الله؟

قال أبو سفيان بن حرب :

ـ بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك لقد ظننت أنه لو كان مع الله إلـــه غيره لما أغنى عنى شيئا بعد

فتساءل المبعوث للناس كافة ﷺ :

ـ ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله؟

لو أقر أبو حنظلة له بالرسالة فقد ذهبت زعامته وزالت دولته التى حارب

السنين من أجلها فقال:

ـ والله إن هذه فى النفس منها شيئا

كان أبو سفيان بن حرب يطمع فى أن يرجىء نبى التوبة ﷺ اعترافه بنبوته لما رأى من حلمه وعفوه، فمن يدرى فقد تأتى الرياح ذات يوم بما تشتهى وتعصف بالإسلام والمسلمين فتظل له السيادة على قومه ولا يذهب شرفه فيهم

ورأى أبو الفضل الشرفى عينى عمربن الخطاب فقال لصديقه ونديمه:

ـ ويحك أسلم واشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك

عنقه؟ إنه عنده أهم من كل شرف ومن كل زعامة، وإن ابن الخطاب ليتحرق شوقا إلى ضربه

فقال أبو سفيان بن حرب فى صوت خافت ينز أسى:

ـ أشهد أن لا إلـه إلا الله، وأن محمدا رسول الله

لقد كان إسلام أبى سفيان بن حرب عاملا فى إحلال السلام فى دخول الجيش الإسلامى أم القرى دونما أية مقاومة

*** جند الله يمرون أمام أبى سفيان بن حرب**

تجهز المسلمون لدخول أم القرى فقال رسول الله ﷺ لعمه العباس:

ـ اذهب فاحبس أبا سفيان عند مضيق الوادى حتى تمر به جنود الله فيراها

وكان العباس بن عبد المطلب لبيبا دبلوماسيا ماهرا

فقال أبو الفضل:

ـ يا رسول الله إن أبا سفيان يحب الفخر فاجعل له شيئا يكون فى قومه

فقال طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ:

ـ من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن

فخرج العباس بن عبدالمطلب بأبى حنظلة حتى حبسه بمضيق الجبل حيث أمره المبعوث رحمة للعالمين ﷺ

ومرت القبائل بأبى سفيان بن حرب فتساءل:

- من هؤلاء؟

قال أبو الفضل:

- أسلم

قال أبو سفيان بن حرب:

- مالى ولأسلم؟

ثم أردف:

- من هؤلاء؟

قال العباس بن عبدالمطلب:

- جهينة

قال أبو حنظلة:

- مالى وجهينة؟

ثم مرت غفار فقال مثل ذلك، ومر سعد بن هذيم فقال مثل ذلك ثم أقبلت كتيبة لم ير مثلها فقال أبو سفيان بن حرب:

- يا عباس من هؤلاء؟

قال أبو الفضل:

- هذا رسول الله ﷺ فى الأنصار

قال أبو حنظلة:

- ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة

وراح يقلب وجهه فى الكتيبة الخضراء، كان يرتجف فرقا على قريش وكان يمتلئ دهشة من عظم الجيش الذى كونه خاتم النبيين ﷺ فالتفت إلى أبى

الفضل وقال:

ـ والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما

قال العباس بن عبدالمطلب:

ـ يا أبا سفيان إنها النبوة

وكانت مع سعد بن عبادة راية المبعوث للناس كافة ﷺ فلما مر بأبى سفيان ابن حرب قال ابن عبادة:

ـ يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة، اليوم ستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشا.

فلما مر المبعوث رحمة للعالمين ﷺ بأبى حنظلة قال:

ـ يا رسول الله أمرت بقتل قومك؟ قد زعم سعد بن عبادة ومن معه حين مر بنا أنه قاتلنا، يا رسول الله أنشدك الله فى قومك فأنت أبر الناس وأرحمهم وأوصلهم

فقال عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف:

ـ يا رسول الله فانا لا نأمن من سعد أن يكون له فى قريش صولة

فقال النبى الأمى العربى القرشى الهاشمى ﷺ:

ـ يا أبا سفيان كذب سعد، اليوم يوم المرحمة واليوم أعز الله فيه قريشا

وأرسل نبى الرحمة ﷺ أبا الحسن إلى سعد بن عبادة لينزع اللواء منه ويدفعه إلى ابنه قيس بن سعد بن عبادة فأبى سعد أن يسلم اللواء إلا بأمارة من خاتم النبيين ﷺ فأرسل نبى الرحمة ﷺ بعمامته فدفع سعد بن عبادة اللواء إلى ابنه قيس

*** أبو سفيان بن حرب ينصح قومه**

قال أبو الفضل لأبى حنظلة:

ـ النجاة إلى قومك

فامتطى أبو سفيان بن حرب راحلته وانطلق يعدو حتى دخل مكة فراح يصرخ

بأعلى صوته:

- يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن

فقامت إليه امرأته هند بنت عتبة وهى حانقة أعماها الغضب فأخذت بلحيته ونادت:

- يا آل غالب اقتلوا الشيخ الأحمق

ثم قالت هند بنت عتبة:

- قبحت من طليعة قوم

وهرع الناس إليها فقالت هند بنت عتبة:

- هلا قاتلتم ودفعتم عن أنفسكم وبلادكم؟

فقال أبو حنظلة فى حدة:

- اسكتى وادخلى بيتك

ثم التفت إلى الناس وقال:

- ويحكم لاتغرنكم هذه من أنفسكم فانه قد جاءكم بمالا قبل لكم به فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن

فتفرق الناس

*** رسول الله ﷺ يدخل مكة**

عبأ صاحب لواء الحمد ﷺ جيشه بقياداته وكتائبه وأوصاهم باللقاء عند الصفا وأوصاهم ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم

ودخل أبو قاسم ﷺ مكة من أعلاها خاشعا متذللا مطأطئ الرأس وهو يقرأ سورة «الفتح» ذقنه على راحلته تواضعا لله عزوجل، لم يدخلها دخول المنتصرين الجبارين الذين يتعطشون لسفك الدماء، هتك الأعراض، وسلب

الأموال، وأقبل بمن معه حتى وصل الحجون فأمر أن تنصب رايته ﷺ

ودخل باقى جيش المسلمين مكة فلم يلق القلب وميسرة الجيش قتالا، **وأما ميمنة الجيش بقيادة خالد بن الوليد فعارضتها بعض من شباب قريش وتناوشوا مع خالد قليلا وتراموا بالنبال ثم لاذوا بالفرار فى الطرقات والجبال.**

ودخل صاحب لواء الحمد ﷺ المسجد الحرام وبدأ بالحجر الأسود فطاف بالكعبة

*** تطهير الكعبة من الأصنام**

كان على الكعبة **ثلاثمائة وستون صنما لكل حى من أحياء العرب صنم** قد شدت أقدامها بالرصاص، فجاء نور الظلمة ﷺ معه قضيب فجعل يهوى به إلى كل صنم منها فيخر لوجهه

وهو يقول:

- **﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾**[سورة الاسراء الآية: ٨١]

وبقى هُبل فى جوف الكعبة وقد أرخى الليل سدوله فقال المبعوث للناس كافة ﷺ لعلى بن أبى طالب:

- اصعد على منكبى واهدم الصنم

فقال أبو الحسن:

- يا رسول الله بل اصعد أنت فانى أكرمك أن أعلوك

فقال صاحب الخلق العظيم ﷺ:

- فاصعد أنت

فجلس أبو القاسم ﷺ فصعد أبو الحسن على كاهله ثم نهض به فصعد على بن أبى طالب فوق ظهر الكعبة وتنحى السراج المنير ﷺ، وراح أبو الحسن **يعالج الصنم حتى تمكن من رفعه وألقاه على الأرض فصار جذاذا** وأبو سفيان بن حرب ينظر ورسول الله ﷺ يقول:

- ﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾

فالتفت الزبير بن العوام إلى أبى حنظلة وقال له:

ـ قد كسر هبل، أما إنك قد كنت فى يوم أحد فى غرور حين تزعم أنه قد أنعم

فقال أبو سفيان بن حرب:

ـ دعنى ولا توبخنى، لو كان مع إلـه محمد إلـه آخر لكان الأمر غير ذلك.

*** رسول الله ﷺ يدخل الكعبة**

بعد أن طهر خاتم الأنبياء ﷺ الكعبة من الأصنام والأوثان والرجس أراد أن يدخل الكعبة فبعث بلال بن رباح **إلى عثمان بن أبى طلحة فجاء بمفتاح الكعبة،** ولم يدخلها أبو القاسم ﷺ لكثرة ما فيها من أصنام والتماثيل والصور فأرسل من يخرجها منها **حتى أصبحت فارغة فدخلها فرأى على جدرانها بقايا للصور** فدعا بدلو من ماء فجعل يمحوها بيده الشريفة ﷺ ويقول:

ـ قاتل الله قوما يصورون مالا يخلقون [رواه الطيالسى، والضياء عن أسامة بن زيد].

ثم صلى النبى ﷺ فى الكعبة ركعتين.

ودخل الكعبة أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن أبى طلحة ووقف خالد بن الوليد يذب الناس وهو واقف على باب الكعبة.

*** الطلقاء**

ووقف الذى أوتى جوامع الكلم ﷺ وقال:

لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمى هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصافيه الدية مغلظة من الإبل أربعون منها فى بطونها أولادها.

يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب.

ثم تلا قوله تعالى ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**﴾ [سورة الحجرات: الآية ١٣].

ووضع صاحب الخلق العظيم ﷺ يده على عضادتى الباب ثم قال:

- **ماذا تقولون وماذا تظنون أنى فاعل بكم؟**

قالوا:

- **خيرا**

وقال أحدهم:

- **نقول خيرا ونظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت**

قال طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ :

- أقول كما قال أخى يوسف ﴿**لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين**﴾ [سورة يوسف: الآية٩٢].

اذهبوا فأنتم الطلقاء.

وكانت السقاية فى بنى عبد المطلب وكان العباس بن عبد المطلب عليها.

ثم تساءل النبى عليه الصلاة والسلام :

- **وأين عثمان بن أبى طلحة؟**

فقال عثمان:

- **لبيك يا رسول الله.**

فقال نبى الوفاء ﷺ :

- **هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء.**

ثم دفع إليه المبعوث للناس كافة ﷺ المفتاح وقال:

- **خذوها يا بنى أبى طلحة تالدة خالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم.**

ودفع السقاية إلى العباس بن عبد المطلب.

فتح العراق

الحيرة

*** عقب حرب الردة ومدعى النبوة:**

بعد أن فرغ الخليفة الأول من محاربة المرتدين ومدعى النبوة كمسيلمة الكذاب والأسود العنسى وطليحة بن خويلد الأسدى وسجاح و..و.. كتب أبو بكر الصديق إلى خالد بن الوليد كتابا يأمره فيه بالسير إلى العراق.

فمضى أبو سليمان فى شهر محرم سنة اثنتى عشرة للهجرة إلى العراق ـ كانت تحكم من قبل فارس ـ حتى نزل ببارنقيا وباروسما وأليس ـ والليس ـ وصالحه أهلها وكان الذى صالحه عليها ابن صلوبا على عشرة آلاف دينار سوى ما حرزه كسرى، وكانت على كل رأس أربعة دراهم، وأخذ منهم الجزية، ثم سار خالد بن الوليد حتى نزل الحيرة فخرج إليه أشرافها مع إياس بن قبيصة الطائى وكان أميراً عليها بعد النعمان بن المنذر، فدعاهم أبو سليمان إلى الإسلام أو الجزية أو المحاربة، فاختارو الجزية، فصالحهم خالد بن الوليد على تسعين ألف درهم .

فكانت أول جزية أخذت من الفرس فى الإسلام هى والقريات بانقيا، باروسما، أليس ـ التى صالح عليها ابن صلوبا ـ

*** ذات السلاسل.**

كتب أبو سليمان **إلى** هرمز وهو صاحب الأمر فى ثغرة ومحيطه:

أما بعد فأسلم تسلم أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة، وأقرره بالجرية، وإلا فلا تلومن إلا نفسك **فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة.**

فلما وصل الكتاب إلى هرمز وقرأه كتب إلى شيرى بن كسرى وإلى أردشير ابن شيري، وجمع هرمز جموعه وجعل على مجنبته أخوين هما: قباذ وأنوشجان وكانا من أولاد أردشير الأكبر

واقترنوا بالسلاسل فقيل لهم:

ـ لم قيدتم أنفسكم لعدوكم ؟

فقالوا:

ـ أما أنتم فحدثوننا أنكم تريدون الهرب.

وتعبأ هرمز وأصحابه للحرب والنزال ـ فى أرض هى من الفرس أقرب ـ والماء فى أيديهم

فسمع بهم خالد بن الوليد فمال بالمسلمين إلى كاظمة، فسبقه هرمز إليها وكان سيء الجوار للعرب فكلهم عليه حنق، وكانوا يضربونه مثلا فيقولون:

ـ أكفر من هرمز.

وقدم أبو سليمان **فنزل على غير ماء** قال له أصحابه فى ذلك:

ـ ما تفعل؟

فقال خالد بن الوليد:

ـ جالدوهم على الماء فلعمرى ليصيرن الماء لأكثر الفريقين صبرًا وأكرم الجندين

فحط المسلمون أثقالهم،. وتقدم خالد إلى الفرس فلاقاهم ، وأرسل الكريم الرحيم سحابة فأغدقت وراء صف المسلمين فقويت قلوبهم وتقووا بها

وخرج هرمز ودعا أبا سليمان إلى البراز واتفق مع أصحابه على الغدر بخالد، ونادى:

ـ أين خالد؟

فبرز إليه خالد ومشى نحوه راجلا، ونزل هرمز أيضا وتضاربا فاحتضنه أبو سليمان، فحمل أصحاب هرمز، **فما شغله هذا الإلتحام عن قتله**، وحمل القعقاع بن عمرو والتحم بحماة هرمز حتى أبعدهم عن خالد بن الوليد، الذى راح يعارك ويغالب من معه.

وأخيرا انهزم أهل فارس وركب المسلمون أكتافهم إلى الليل وكان فيمن هرب قباذ وأنوشجان .

وأخذ خالد سلب هرمز وكانت قلنسوته بمائة ألف، وكانت مفصصة بالجواهر.

وبعث خالد بن الوليد بالفتح والأخماس **إلى الخليفة الأول**، ثم سار أبو سليمان حتى نزل بموضع الجسر الأعظم بالبصرة.

وبعث خالد بن الوليد المثنى بن حارثة الشيبانى فى آثار جيش الفرس، وأرسل معقل بن مقرن إلى الأبلة ففتحها وجمع الأموال بها والسبى.

*** موقعة المذار**

كان هرمز كتب إلى ملكه أردشير يطلب منه المدد فأمده بقارن بن قربانس فخرج قارن من المدائن مددا لهرمز، حتى إذا وصل المذار وصله خبر هزيمة الفرس، كما وصل إليه الهاربون من ذات السلاسل وقباذ وأنوشجان، فتذامروا وقالوا:

- إن افترقتم لم تجتمعوا بعدها أبدا، فاجتمعوا على أن تعودوا للحرب مرة ثانية، فهذا مدد الملك، وهذا قارن بن قربانس لعل الله يديلنا - يغير حالنا وينصرنا على عدونا - ويشفينا من عدونا وندرك بعض ما أصابوا منا.

فعسكروا بالمذار، واستعمل قارن بن قربانس على مجنبته قباذ وأنوشجان.

وبعث المثنى بن حارثة وأخوه المعنى بالخبر إلى خالد بن الوليد، فخرج خالد بجيشه سائرا حتى نزل بالمذار، والتقى بقارن بن قربانس فى جموعه، وتقاتلوا قتالا شديدا.

ثم خرج قارن بن قربانس ودعا أبا سليمان لمبارزته، فبرز إليه خالد وأبيض الركبان: معقل بن الأعشى بن النباش، فتسارعا وتسابقا إلى قارن بن قربانس فسبقه إليه معقل بن الأعشى فقتله، وقتل عدى قباذا، وقتل عاصم الأنوشجان.. **وكانت مقتلة عظيمة فى أهل فارس.**

فضموا السفن ومنعت المياه المسلمين من طلبهم لأعدائهم، ولولا المياه لأتى المسلمون على آخرهم ولم يفلت من الفرس إلا عراة أو أشباة عراة، وكان عدد **قتلى الفرس فى هذه المعركة ثلاثين ألفا سوى من غرق.**

وأقام خالد بن الوليد فى المذار وسلم الأسلاب - جمع سلب وهو: ثياب

المقاتل وسلاحه وما يكون عليه ـ لمن سلبها بالغة ما بلغت، وعمل على سبى عيال المقاتلين ومن أعانهم وأقر الفلاحين ومن أجاب إلى الخراج من جميع الناس بعد أن دعاهم إلى ذلك فأجابوا وتراجعوا **وصاروا من أصحاب الذمة**، وصارت أرضهم لهم، وكان من بين السبى حبيب أبو الحسن البصرى وكان نصرانيا

*** يوم الولجة.**

لما وصل الخبر إلى الملك أردشير بمصاب قارن بن قربانس وأهل المذار، أرسل الأندرزغر وأردفه ببهمن جازويه فى جيش وأمره أن يلتقى بالأول فى الولجة وقد جمع الأندرزغرمن بين الحيرة وكسكر من عرب الضاحية والدهاقين فعسكروا إلى جنب جيش بهمن جازويه، فلما رأى الأندرزغر الجيشين وأنه أصبح على أهبة الإستعداد أعجبه ذلك وأجمع السير إلى خالد بن الوليد.

كان أبو سليمان بالثنى ـ العرب تسمى كل نهر الثنى ـ فلما بلغه خبر الأندرزغر نادى خالد بالرحيل، وخلف سويد بن مقرن وأمره بملازمة مكانه فى الحفير.

وتقدم أبو سليمان إلى من خلف فى أسفل دجلة وأمرهم بالحذر كل الحذر وترك الاغترار، وخرج سائرا بجيشه نحو الولجة حتى يكون قبالة جيش الفرس.

ولما التقى الجمعان اقتتلا قتالا شديدا هو أعظم مما كان قبله، حتى ظن الجيشان أن الصبر قد فرغ وكان أبو سليمان قد أعد للفرس كمينا فى ناحيتين: عليهم بسر بن أبى رهم، وسعيد بن مرة العجلى، فخرج الكمين من ناحيتين **فانهزمت جموع الأعاجم وولوا مدبرين فأخذهم خالد بن الوليد من بين أيديهم ـ أمامهم ـ والكمين من خلفهم ومات الأندرزغر فى طريقه عطشا.**

وسار خالد بن الوليد فى الفلاحين فلم يقتلهم، وسبى ذرارى المقاتلة ومن أعان على القتال، ودعا أهل الأرض إلى الجزاء والذمة فقبلوا وقد بارز خالد بن الوليد **يوم الولجة رجلا من أهل فارس يعدل بألف رجل فقتله خالد**، فلما انتهى من قتله اتكأ عليه ودعا بغدائه

*** خبر أليس**

لما أصاب خالد بن الوليد يوم الولجة من أصاب من بكر بن وائل من نصاراهم الذين أعانوا أهل فارس غضب لهم نصارى قومهم فكاتبوا الفرس وكاتبتهم فاجتمعوا فى أليس - وهى على الفرات - وعليهم عبد الأسود العجلى.

وكتب أردشير إلى بهمن جازويه وهو: بقسيانا، أن يسير بجيشه حتى ينتهى إلى أليس، وهناك قد اجتمع بها من فارس ونصارى العرب خلق كثير، فقدم بهمن جابان وأمره وقال له وهو يحثه:

- كفكف نفسك وجندك من قتال القوم حتى ألحق بك إلا أن يعجلوك.

فسار جابان نحو أليس.

وانطلق بهمن جاذويه إلى أردشير ليحدث عنده عهدًا ويستأمره فيما يريد أن يشير به، فوجده مريضا، فعاد إلى جابان حتى وصل أليس، فنزل بها فى صفر واجتمع إليه عبد الأسود فى نصارى العرب من بنى عجل وتيم اللات وخبيعه وعرب الضاحية من أهل الحيرة.

وكان جابر بن جبير نصرانيا فسار عبد الأسود، وبلغ خالد بن الوليد خبرهم، فاستعد وتأهب لهم، - وهو لا يشعر بقرب جابان منه -، وكل همه حرب من تجمع له من عرب الضاحية ونصاراهم.

فأقبل خالد بن الوليد إلى أليس.

فلما رأته جيوش جابان قالوا له:

- أنعاجلهم ولا نريهم أنا نحفل بهم، ثم نقاتلهم بعد الفراغ؟

فقال جابان:

- إن تركوكم وتهاونوا بكم فتهاونوا، ولكن ظنى بهم أنهم سيعجلونكم، ويعجلونكم عن الطعام

فعصوه.

وبسطوا البسط ووضعوا الأطعمة، وتداعوا اليها.

فلما وصل خالد بن الوليد إليهم، ووقف عندهم وأمر بحط الأثقال، وتوجه إليهم بعد أن جعل لنفسه حامية تحميه من خلفه، فنادى فى القوم:

ـ أين أبجر؟ أين عبد الأسود؟ أين مالك بن قيس؟

فسكتوا جميعا إلا مالك بن قيس فبرز له، فقال له أبو سليمان:

ـ يا ابن الخبيثة ما جَرّأك على من بينهم وليس فيك وفاء؟

وضرب خالد بن الوليد مالك بن قيس بسيفه فأطاح برأسه.

وأبعد الأعاجم عن الطعام قبل أن يأكلوا فقال جابان:

ـ ألم أقل لكم يا قوم؟ أما والله ما دخلتنى من رئيس وحشة قط حتى كان اليوم

وجعل جابان على مجنبتيه عبد الأسود وأبجر.

ونشب بين الفرس وخالد بن الوليد قتال شديد. والأعاجم ما يزيدهم عنادا أو شدة فى الحرب إلا أنهم ينتظرون قدوم بهمن جاذويه عليهم فصابروا المسلمين للقدر الذى كان ينتظرهم.

وقال خالد بن الوليد:

ـ اللهم إن لك على إن منحتنا أكتافهم ألا أستبقى منهم أحدا قدرنا عليه حتى أجرى نهرهم بدمائهم

فاستجاب السميع المجيب دعوة سيف الله المسلول وكان الذى أراد.

فنادى منادى خالد:

ـ الأسر الأسر، لا تقتلوا إلا من امتنع.

فأقبلت خيول المسلمين بالأعاجم أفواجا متأسرين يساقون سوقا.

ووكل خالد بهم رجالا يضربون أعناقهم فى النهر، ففعل بهم ذلك يوما وليلة.

وطلبوهم يوما آخر بعد يوم حتى انتهوا إلى النهرين، ومقدار ذلك من كل جوانب أليس فضربت أعناقهم.

*** نهر الدم**

قال القعقاع بن عمرو وأمثاله:

ـ يا خالد لو أنك قتلت أهل الأرض لم تجر دماؤهم،إن الدماء سريعة الجفاف، فإذا أردت أن تجرى دماؤهم وتبر يمينك،فما عليك إلا أن ترسل عليها الماء.

فأرسل خالد بن الوليد الماء على الدماء فجرى الدم وعندئذ سمى بنهر الدم

*** خالد مع أهل الحيرة.**

تابع سيف الله المسلول مسيره بجيشه قاصدا الحيرة، وفى طريقه نزل بين الخورنق والنجف، فقدم خالد بن الوليد الخورنق، وقد قطع الأزاذبه الفرات هاربا من غير قتال، ودفعه إلى ذلك ما بلغه من خبر أن أردشير قد مات، وكان عسكره بين الغربيين والقصر الأبيض.

وتتابع جيش خالد بالوصول إلى الخورنق، عندها خرج خالد بن الوليد من العسكر حتى يعسكر بموضع عسكر الأزاذبه ـ بين الغريين والقصر الأبيض ـ وأهل الحيرة متحصنون، **وأمر سيف الله المسلول بمحاصرة أهل الحيرة كل بحصنه** ليقاتلهم بعد محاصرتهم، **فجعل ضراربن الأزور يحاصر القصر الأبيض** وفيه إياس بن قبيصة الطائى، **وكان ضرار بن الخطاب يحاصر قصر العدسيين** وفيه عدي ابن عدى المقتول، **وكان ضرار بن مقرن المزنى يحاصر قصر بنى مازن** وفيه أكال، **وكان المثنى بن حارثة الشيبانى يحاصر قصر ابن بقيلة** ـ هو عمرو بن عبد المسيح، وقد دعى بذلك لأنه خرج على قومه في بردين أخضرين فقالوا له: ما أنت إلا بقيلة خضراء ـ فدعوهم جميعا، فأبى أهل الحيرة.

وكان أول من أنشب القتال ضرار بن الأزور، وكان على قتال القصر الأبيض، فأصبحوا وهم مشرفون عليه فدعاهم ضرار إلى إحدى ثلاث:

الإسلام

أو الجزية

أو المنابزة ـ الحرب ـ

فاختاروا المنابزة، وتنادى أصحاب القصر الأبيض:

ـ **عليكم بالخزازيف.**

فقال ضرار بن الأزور لأصحابه:

ـ **تنحوا لا ينالكم الرمى، حتى ننظر فى الذى هتفوا فيه.**

فلم يلبث إلا قليلا حتى امتلأ رأس القصر الأبيض برجال يرمون المسلمين بالخزازيف ـ جمع خزفة وهى: المداحى من الخزف ـ

فقال ضرار بن الأزور:

ـ ارشقوهم .

فاقترب المسلمون من القصر الأبيض ورشقوهم بالنبل، فلم يبق على رؤوس جدران الحصن من إنسان، ثم نشروا غارتهم على من يليهم من الناس.

وصبح أمير كل قوم أصحاب القصر بمثل ما فعل ضرار بن الأزور بأهل القصر الأبيض.

فافتتح المسلمون الدور والديرات وأكثروا القتل فنادي القسيسون والرهبان:

ـ **يا أهل القصور ما يقتلنا أحد غيركم .**

فنادى أهل القصور:

ـ **يا معشر العرب، قد قبلنا واحدة من ثلاث، فادعوا بنا وكفوا عنا حتى تبلغونا خالدا .**

فخرج اياس بن قبيصة وأخوه إلى ضرار بن الأزور.

وخرج عدى بن عدى المقتول إلى ضرار بن الخطاب.

وخرج عمرو بن عبد المسيح وابن أكال إلى ضرار بن مقرن وإلى المثنى بن حارثة الشيبانى.

فأرسلوهم إلى خالد بن الوليد وهم على مواقعهم.

وكان أول من طلب الصلح عمرو بن عبد المسيح بن قيس بن حيان بن الحارث.

ولما وصل الرؤساء إلى أبى سليمان، **اجتمع بهم كل على حدة** فبدأ بأصحاب

عدى بن عدى وقال لهم:

ـ ويحكم، ما أنتم؟ أعرب أم عجم؟ فإن كنتم عربا فما الذى تنقمون على العرب؟ وإن كنتم عجما فما الذى تنقمون من الإنصاف والعدل؟

فقال عدى بن عدى:

ـ بل عرب عاربة، وأخرى مستعربة .

فقال خالد بن الوليد:

ـ لو كنتم كما تقولون لم تحادونا وتكرهوا أمرنا؟

فقال له عدى:

ـ الدليل على ما نقول: أنه ليس لنا لسان إلا العربية.

فقال أبو سليمان:

ـ صدقت

ثم قال خالد لعدى:

ـ اختاروا واحدة من ثلاث: أن تدخلوا فى ديننا فلكم ما لنا، وعليكم ما علينا إن نهضتم وهاجرتم، وإن أقمتم فى دياركم، الجزية، أو المنابزة والمناجزة، فوالله لقد أتيتكم بقوم هم على الموت أحرص منكم على الحياة.

فقال عدى بن عدى:

ـ بل نعطيك الجزية.

فقال سيف الله المسلول:

ـ تبا لكم إن الكفر فلاة مضلة، فأحمق الحمق من سلكها فلقيه دليلان: أحدهما عربى فتركه والآخر أعجمى، فاستدل بطريق الأعجمى فتبعها.

وصالحوا خالد بن الوليد على مائة ألف وتسعين.

وتتابع الجميع بالعمل بصلح عدى بن عدى وأصحابه، وقدموا لخالد بن الوليد بالهدايا الكثيرة والعظيمة.

وكان مع عمرو بن عبد المسيح كيس فأخذ خالد بن الوليد الكيس ونثر ما فيه

فى راحة كفه وتساءل أبو سليمان:

ـ ما هذا يا عمرو؟

قال ابن بقيلة:

ـ هذا وأمانة الله سم

فتساءل خالد بن الوليد:

ـ وما الذى جاءك به؟

قال عمرو بن عبد المسيح:

ـ خشيت أن تكونوا على غير ما رأيت، وقد أتيت على أجلى، والموت أحب إلى من مكروه أدخله على قومى وأهل قريتى.

فقال خالد بن الوليد:

ـ إنها لن تموت نفس حتى يأتى على أجلها.

ثم قال سيف الله المسلول:

ـ بسم الله خير الأسماء، رب الأرض ورب السماء، الذى لا يضر مع اسمه داء، الرحمن الرحيم

ووضع خالد بن الوليد السم فى فيه وابتلعه.

قال ابن بقيلة:

ـ والله يا معشر العرب لتملكن ما أردتم.

وأقبل على أهل الحيرة فقال لهم:

ـ لم أر كاليوم أمرا أوضح اقبالا.

وقام خالد بن الوليد بعد ذلك يصلى لله تبارك وتعالى **صلاة الفتح ثمان ركعات متتالية لا يفصل بينها وسلم من.صلاته على رأس الركعات الثمان**

*** موقعة الأنبار: أو ذات العيون.**

خرج أبو سليمان ومعه الأقرع بن حابس التميمى حتى وصل الأنبار فرأوا أهلها قد تحصنوا، وكان عليهم شيرزاذ صاحب ساباط.

وتصايح أهل الأنبار فقالوا:

- صبح الأنبار شرا.

ووصل أبو سليمان إلى الأنبار فطاف بالخندق.

وأنشب القتال، وتقدم إلى رماته وقال لهم:

- إنى أرى أقواما لا علم لهم بالحرب، فارموا عيونهم، وعيونهم لا غير.

فرمى المسلمون رشقا واحدًا، وتابعوا الرشق **ففقىء لأهل الأنبار يومئذ ألف عين فسميت هذه الواقعة: ذات العيون.**

فلما رأى شيرزاد ذلك أرسل إلى خالد يصالحه على أمر لم يرض خالد بن الوليد، فرد أبو سليمان رسل شيرزاد، وأتى خالد أضيق مكان فى الخندق برذايا الجيش فنحرها، ثم رمى بها فيه، ثم اقتحم الخندق، وتلاحم الجيشان، فكانت الغلبة لجيش المسلمين.

وأرسل شيرزاد إلى أبى سليمان يصالحه على ما يريد على أن يخلى لشيرزاد ليلحق بمأمنه فى مجموعة من الخيل ليس معها من المتاع والمال شىء.

فقبل خالد بن الوليد.

وخرج شيرزاد وكتب خالد لأهل الأنبار كتاب صلح وأمان.

وتابع أبو سليمان مسيره فى أرض العراق حتى وصل الفراض وهى على تخوم الشام والعراق والجزيرة وقد مر فى طريقه على كثير من القرى والمدن وفى كل منها لم يكن لها من حظوظ بأوفر وأحسن ممن كان قبلها، فبعضهم صالح على الجزية، أو كان بينها وبين خالد قتال شديد فيحل عليها غضب الله وسخط المسلمين ويصابوا بمقتلة عظيمة، ولم ينج من الموت إلا من كان فى هزيمته بأسرع من البرق.

* معركة القادسية

لما بعث الفاروق سعد بن أبى وقاص إلى العراق خرج معه النعمان بن مقرن، ولما نزل سعد القادسية علم أن يزدجرد ملك الفرس قد عبأ جيشا جعل عليه رستم قائدا، فكتب سعد بن أبى وقاص إلى أمير المؤمنين عمر، فكتب أبو حفص لسعد:

لا يكربنك ما يأتيك واستعن بالله وتوكل عليه وابعث إليه رجالا من أهل المناظرة والرأى يدعونه فان الله جاعل دعاءهم توهينا لهم

فأرسل سعد بن وقاص نفرا منهم: النعمان بن مقرن، ويسر بن أبى رهم، وحملة بن حوية، وحنظلة بن الربيع، وفرات بن حيان، وعدى بن سهيل، وعطارد بن حاجب، والأشعث بن قيس، والمغيرة بن زرارة بن النباش الأسدى، وعمرو ابن معديكرب و . . .

فخرجوا من عسكر المسلمين وقدموا على يزدجر، فجمع الناس ينظرون إليهم وتحتهم خيولهم، وأحضر يزدجر ترجمانا وقال له:

ـ سلهم من جاء بكم وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا؟ أمن أجل أننا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا؟

فقال النعمان بن عمرو بن مقرن لأصحابه:

ـ إن شئتم تكلمت عنكم ومن شاء آثرته

فقالوا:

ـ بل تكلم

فقال النعمان بن مقرن:

ـ إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولا يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر، ووعدنا على اجابته خير الدنيا والآخرة، فلم يدع قبيلة إلارقاربه منها فرقة وتباعد عنه بها فرقة، ثم أمر أن ينبذ ـ نبتدأ ـ إلى من خالفه من العرب، فبدأ بهم فدخلوا معه على وجهين: مكره عليه فاغتبط وطائع ـ أتاه ـ فازداد، فعرفنا جميعا فضل ما جاء به على الذى كنا عليه من العداوة والضيق، ثم أمرنا أن نبدأ بمنٍ يلينا منٍ الأمم فندعوهم إلى الإنصاف، فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين حسّن الحُسْنَ وقَبَّح القَبيح كله، فان أبيتم فأمر من الشر أهون من آخر شر منه الجزية، فان أبيتم فالمناجزة، فان أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمنا على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم، وإن بذلتم الجزاء قبلنا ومنعنا عنكم وإلا قاتلناكم

فتكلم يزدجر فقال:

ـ إنى لا أعلم فى الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عددا ولا أسوأ ذات بين منكم، فقد كنا نوكل بكم قرى الضواحى فيكفوننا أمركم، ولا تطمعوا أن تقربو لفارس، فان كان غرر لحقكم فلا يغرنكم منا، وإن كان الجهد ـ الفقر والحاجة ـ فرضنا لكم قوتا إلى خصبكم وأكرمنا وجودهكم وكسوناهم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم

ولما انتهى وفد المسلمين من الحديث قال يزدجر:

ـ ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أنى مرسل إليه رستم حتى يدفنه التراب ويدفنكم معه فى خندق القادسية

*** مسير جيش رستم**

لم يعد رستم يستطيع الإنتظار بعد ذلك فجمع جيشا قرابة مائة وعشرين ألفا تتقدمه الفيلة، وسار متمهلا فعبر نهر الفرات بالقرب من مدينة بابل، وتقدم نحو الحيرة إلى أن صار على مرأى من جيش المسلمين، وعسكر على الشاطئ المقابل

ودعا رستم أهل الحيرة فقال:

ـ يا أعداء الله فرحتم بدخول العرب علينا بلادنا وكنتم عيونا ـ جواسيس ـ لهم علينا وقويتموهم بالأموال؟

فاتقى أهل الحيرة شر رستم بابن بقيلة: عمرو بن عبدالمسيح فرد عليه:

ـ أما قولك: إنا فرحنا بمجيئهم فماذا فعلوا؟ وبأى ذلك من أمورهم نفرح؟ انهم ليزعمون أنا عبيدهم، وما هم على ديننا، وإنهم ليشهدون علينا أنا من أهل النار، وأما قولك: إنا كنا عيونا لهم: فما الذى يحوجهم إلى أن نكون عيونا لهم؟ وقد هرب أصحابكم منهم، وخلوا لهم القرى فليس يمنعهم أحد من وجه أرادوه وإن شاءوا، أخذوا يمينا وشمالا، وأما قولك: إنا قويناهم بالأموال فانا صانعناهم بالأموال عن أنفسنا إذ لم تمنعونا مخافة أن نسبى وأن نحارب وتقتل مقاتلتنا

فقال رستم:

ـ **صدق الرجل**

وجعل رستم الهرمزان على ميمنة الجيش، ومهران بن بهرام الرازى على ميسرته، وعلى المؤخرة البيرزان

*** رستم يحاول منع القتال**

كان رستم شجاعا وفارسا مقداما ورغم ذلك كان منجما فقد رأى طالع الفرس منحوسا وأن نعيمهم عاد بؤسا، فكتب إلى أخيه يعلمه بما رأى:

إنى نظرت أسرار الكواكب واستشففت أستار العواقب فرأيت بيت ملك الساسانية خاليا ورسم سلطانهم عافيا ـ زائلا ومندثرا ـ واتفقت الشمس والقمر والزهرة فى طالع العرب، فلن يروا سوى الخير والعلا...

إلى أن قال لأخيه:

فاذا وقفت على كتابى هذا فاجمع أموالك وخزائنك وخيلك وانهض إلى أذربيجان واعتصم بتلك البلاد

ثم قال:

ـ عليك بحفظ الملك فانه لم يبق من هذه الشجرة أحد سواه

ونزل رستم على العتيق ـ النهر أو الثنى فالعرب تسمى كل نهر: الثنى ـ وراح يتأمل المسلمين ثم بعث إلى أحد قادة المسلمين قائلا:

ـ أنتم جيراننا، وقد كانت طائفة منكم فى سلطاننا فكنا نحسن جوارهم ونكف الأذى عنهم ونوليهم المرافق الكثيرة ..

كان يريد بهذا الصلح حيث يخبر المسلمين بحسن صنيعهم للعرب المجاورين لهم ـ الفرس ـ كان يريد الصلح ولكن لا يصرح به

فقال القائد المسلم:

ـ قد كان ما تذكر وليس أمرنا أولئك ... إنا لم نأتكم لطلب الدنيا إنما طلبتنا

وهمتنا الآخرة.

ودعا رستم رجال فارس فذاكرهم هذا فحموا من ذلك وأنفوا

*** مفارضات المسلمين ورستم**

بعث سعد بن أبى وقاص ربعى بن عامر إلى رستم، فاستعدوا للقائه وبسطوا البسط، ووضع لرستم سرير من الذهب، وألبس زينته من الأنماط - ثوب من الصوف الملون ولا يقال للأبيض نمط - والوسائد المنسوجة بالذهب، وأقبل ربعى ابن عامر يسير على فرس له ومعه سيفه وفرسه ونبله ولرأسه أربع ضفائر، وكان رث - مهترئ الثياب - الثياب، فقالوا له:

- دع سلاحك

فقال ربعى بن عامر:

- لم آتكم فأضع سلاحى بأمركم أنتم دعوتمونى

فأخبروا رستم فقال:

- ائذنوا له

فأقبل ربعى بن عامر يتوكأ على رمحه ويقارب خطوه فلم يدع لهم نمرقا ولا بساطا **إلا أفسده وهتكه** فلما دنا من رستم جلس على الأرض وركز رمحه فقيل له:

- ما حملك على هذا؟

قال ربعى بن عامر:

- إنا لا نستحب القعود على زينتكم

فقال له عبود ترجمان رستم وهو من أهل الحيرة:

- ما جاء بكم؟

قال ربعى بن عامر:

- الله ابتعثنا، الذى جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب

العباد، ومن شاء من عباده من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه، لندعوهم إليه، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه، ورجعنا عنه وتركناه وأرضه، ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفضى إلى موعود الله

فقال رستم:

ـ وما موعود الله؟

قال ربعى بن عامر:

ـ الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقى

قال رستم:

ـ قد سمعنا قولك فهل لك أن تؤخر هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟

فقال ربعى بن عامر:

ـ نعم كم أحب إليكم يوما أو يومين؟

قال رستم:

ـ لابد حتى نكتب إلى أهل رأينا ورؤساء قومنا

لقد أراد رستم مقاربة الموعد أو تأخيره

قال ربعى بن عامر

ـ نعم وإن مماسن لنا رسولنا ﷺ وعمل به أئمتنا أن لا نمكن الأعداء من آذاننا ولا نؤجلهم عند اللقاء أكثر من ثلاث، فنحن مترددون عنكم ثلاثا فانظر فى أمرك واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل: إما الاسلام وندعك وأرضك، أو الجزاء فنقبل ونكف وإن احتجت إلينا نصرناك، أو المنابذة فى اليوم الرابع .. إلا أن تبدأ بنا وأنا كفيل بذلك على أصحابى وعلى جميع من ترى

قال رستم:

ـ أسيدهم أنت؟

قال ربعى بن عامر:

ـ لا ولكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض، يجير أدناهم على أعلاهم

*** الفرس يعبرون نهر الفرات**

مرت الأيام الثلاثة، وانقضى الأجل، فقال رستم:

ـ أتعبرون إلينا أم نعبر إليكم؟

فقال سعد بن أبى وقاص:

ـ بل اعبروا إلينا

وخرج رُسُلُ من عند سعد بن أبى وقاص ليلا، وأرسل سعد إلى المسلمين أن يقفوا مواقفهم فبات جند رستم يسدون العتيق ـ النهر ـ قبالة قادس حتى الصباح بالقاء الأخشاب والتراب وغير ذلك **حتى جعلوا جسرا فعبروا بأثقالهم** ونزلوا على ضفة نهر الفرات

ثم لبس رستم درعين ومغفرا وأخذ سلاحه، وأمر بفرسه فأسرع وركب عليه وقال:

ـ غدا ندقهم دقا

قال رجل:

ـ إن شاء الله

فقال رستم:

ـ وإن لم يشأ

*** الإستعداد للحرب**

أخذ الفرس يرتبون صفوفهم، وجلس رستم على سريره وجعل فى القلب ثمانية عشر خيلا محملة بالصناديق والرجال، وفى المجنبتين ثمانية أو سبعة فيلة محملة كذلك

وكان الجالينوس بين رستم وبين ميمنته، والبيرزان بينه وبين ميسرته

ووضع يزدجرد رجالا على الطريق بينه وبين نهر الفرات على رأس كل مرحلتين رجلا **يعملون على ايصال أخبار المعركة إليه**

وأخذ المسلمون مصافهم، وجعل زهوة بن عبدالله، وعاصم بن عمرو التميمى، وشرحبيل بن السمط وخلط بين الناس فى القلب والجنبات

ونادى فى المسلمين:

ـ ألا إن الحسد لا يحل إلا على الجهاد فى أمر الله

يا أيها الناس فتحاسدوا وتغايروا على الجهاد

*** مرض سعد بن أبى وقاص**

أصيب سعد بن أبى وقاص بالدمامل وعرق النساء فمنعه ذلك أن يركب فرسا أو راحلة ولا يجلس، فأشرف على الناس من القصر وفى صدره وسادة أكب عليها **وأخذ يرمى بالرقاع فيها أمره ونهيه إلى خالد بن عرفطة وهو أسفل منه**

وكتب سعد بن أبى وقاص إلى الناس:

إنى استخلفت عليكم خالد بن عرفطة وليس يمنعنى أن أكون مكانه إلا وجعى، فاسمعوا له وأطيعوا فانه يأمركم بأمرى ويعمل برأيى

فلما سمع الناس ذلك زادهم خيرا وانتهوا إلى رأيه وقبلوا منه، وتحاثوا على السمع والطاعة، وأجمعوا على قبول عذره

وقال سعد:

ـ أيها الناس الزموا مواقفكم حتى تصلوا الظهر، فاذا صليتم فانى مكبر تكبيرة فكبروا واستعدوا، فاذا سمعتم الثانية فكبروا والبسوا عدتكم، ثم إذا كبرت الثالثة فكبروا، ولينشط فرسانكم الناس، فاذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا:

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله

*** أول يوم من معركة القادسية ـ يوم أرمات ـ**

لما كبر سعد بن أبى وقاص التكبيرة الثالثة برز أهل النجدات فأنشبوا القتال، وخرج إليهم من الفرس أمثالهم فكان بينهم الضرب والطعن

وخرج غالب بن عبدالله الأسدى فخرج إليه هرمز ـ كان من ملوك الباب وكان يلبس التاج ـ **فأسره غالب وجاء به إلى سعد بن أبى وقاص،** ثم عاد غالب ابن عبدالله إلى مطاردة الفرس، ثم خرج غيره للمطاردة والطعان

وخرج عمرو بن معديكرب فخرج إليه رجل من الأعاجم فكسر عمرو عنقه ووضع سيفه على حلقه فذبحه ثم ألقاه

*** الفيلة تضايق المسلمين**

حملت الفيلة ـ جمع فيل: وكان كل فيل يحمل عشرين رجلا فكانت كالحصون المتحركة ـ على جيش المسلمين ففرقت الكتائب، وقصدت فيلة الفرس بنى بجيلة **فنفرت خيلهم وكادت بجيلة أن تهلك**

فأرسل سعد بن أبى وقاص الى بنى أسد:

ـ أن دافعوا عن بجيلة ومن معها من الناس

فخرج طليحة بن خويلد الأسدى وعدد من رجاله فقال طليحة:

ـ إنما سميتم أسدًا لتفعلوا فعله. شدوا ولا تصدوا، وكروا ولا تفروا

كان يحثهم على القتال والثبات، فما زالوا يطعنون الفيلة ويضربون من عليها من الرجال حتى حبسوها عن التقدم وأخروها

وخرج عظيم من الفرس إلى طليحة بن خويلد الأسدى فتبارزا فقتله طليحة

وقام الأشعث بن قيس فى كندة وحثهم على المجاهدة والقتال فوثبوا على من كان بازائهم من الفرس وثوب الأسد فأزالوهم عن مواقعهم

*** الفرس تجتمع على بنى أسد**

اجتمعت حلبة فارس على بنى أسد، وكان فيها: ذو الحاجب والجالينوس، ودارت رحى الحرب على بنى أسد، وحملت الفيلة على ميمنة وميسرة جيش المسلمين وعلى الخيل

فكبر سعد بن أبى وقاص التكبيرة الرابعة، وأرسل إلى عاصم بن عمرو أن

احتالوا بحيلة على الفيلة، ليتخلصوا من شرها وليخففوا على من يواجهها من بنى أسد وغيرهم

فرمى رماة المسلمين رجال الفيلة بالنبال وانحاز بعضهم إلى أذناب الفيلة فقطعوها كما قطعوا الأحزمة والأربطة التى تشد الصناديق، **فارتفع عواء الفيلة،** ولم يبق فيل إلا تجرد ولم يبق فوقه انسان.

وتقاتل الناس، وخفف الأمر على بنى أسد وردت الفرس الى مواقعها

*** اليوم الثانى ـ يوم أغواث ـ**

لما تنفس صبح اليوم الثانى نقل المسلمون شهداءهم إلى العذيب فدفنوهم، **ونقلوا الجرحى وسلموهم إلى النساء ليقمن ويشرفن عليهم.**

وجاءت بشائر فتح دمشق،ـ تم فتح دمشق قبل القادسية بشهر واحد ـ وصلت إليهم نواصى الخيل من الشام، فقد أرسل الفاروق إلى أبى عبيدة بن الجراح أن يرسل أهل العراق فسيرهم وكانوا ستة آلاف وأمر عليهم هاشم بن عتبة ابن أبى وقاص، **وعلى مقدمتهم القعقاع بن عمرو التميمى**

وقام القعقاع بن عمرو بتحريض جيش المسلمين على القتال وقال لهم:

ـ اصنعوا كما أصنع

وتقدم إلى الفرس فقال:

ـ هل من مبارز؟

فخرج إليه **ذو الحاجب بهمن جاذويه** فقتله القعقاع بن عمرو ففرح المسلمون بقتل ذى الحاجب وعاد القعقاع بن عمرو ونادى البيرزان:

ـ هل من مبارز؟

فخرج إليه رجلان: **أحدهما البيرزان والثانى البندوان،** فبارز القعقاع بن عمرو البيرزان، وخرج الحارث بن ظبيان فبارز البندوان، وقتل القعقاع بن عمرو البيرزان

وقتل الحارث بن ظبيان البندوان، فنادى القعقاع بن عمرو:

ـ يا معشر المسلمين بادروهم بالسيوف فانما يحصد الناس بها

وأكثر المسلمون فيهم القتل

وخرج رجل من الفرس يطلب المبارزة فخرج إليه الأعرف بن الأعلم فقتله، ثم خرج رجل آخر فقتله، وأحاطت بالأعرف فرسان الفرس فصرعوه وأخذوا سلاحه فنثر فى وجوههم التراب حتى رجع إلى صفوف المسلمين

واقتتل الجيشان إلى أن انتصف الليل

فكانت ليلة أرماث تدعى ليلة الهدأة، وليلة أغواث تدعى ليلة السواد

*** خروج أبى محجن الثقفى من محبسه للقتال**

كان أبو محجن الثقفى قد حبس وقيد فى القصر، فجاء إلى سلمى زوجة سعد بن أبى وقاص ورجاها أن تخلى سبيله ليقاتل الفرس ثم يعود إلى محبسه وقيده ليلا، وما زال يرجوها مرارا، ومع الالحاح وافقت سلمى وأخلت سبيله، فقام أبو محجن إلى البلقاء ـ فرس سعد بن أبى وقاص ـ واقتادها وأخرجها من باب القصر الخلفى فركبها حتى إذا كان قبالة ميمنة جيش الفرس كبر ثم حمل على ميسرتهم يلعب برمحه بين الناس وهم معجبون به، ولا يعرفونه

ورأى سعد بن أبى وقاص الرجل وهو فوق قصره فقال:

ـ لولا محبس أبى محجن لقلت هذا هو وهذه البلقاء

وقال بعض المسلمين:

ـ هذا الخضر

فلما انتصف الليل وتراجع المسلمون والفرس عن القتال، أقبل أبو محجن، فدخل القصر **وأعاد القيد إلى رجليه وفاء بوعده**

وحادثت سلمى زوجها سعد بن أبى وقاص وخبرته خبر أبى محجن فدعا به وأطلق سراحه ولم يعتب على زوجته

وبلغ عدد قتلى المسلمين وجرحاهم ألفين، ومن الفرس عشرة آلاف يوم أغواث

*** اليوم الثالث ـ يوم عماس ـ**

فى هذا اليوم نقل المسلمون قتلاهم إلى المقابر فدفنوا، ونقل الجرحى إلى النساء ليسعفنهم وليشرفن عليهم ، وبات القعقاع بن عمرو فى أصحابه وقال لهم:

ـ إذا طلعت الشمس فأقبلوا مائة بعد مائة، فان جاء هاشم بن عتبة فذاك وإلا جددتم للناس رجاءهم .

فلما طلعت الشمس أقبل أصحاب القعقاع بن عمرو كما أوصاهم فحين رآهم كبر وكبر المسلمون وقالوا لها:

ـ جاء المدد

والتقى الجيشان واختلف ضربا وطعنا فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى وصل إليهم هاشم بن عتبة بن أبى وقاص فى سبعمائة من رجاله، فأخبروه برأى القعقاع وماصنع فى اليومين الماضيين

فعبأ هاشم بن عتبة أصحابه سبعين سبعين وكان فيهم قيس بن هبيرة بن عبديغوث ـ المعروف بقيس بن المكشوح المرادى ـ حتى إذا خالط الجيش وكان فى القلب كبر وكبر المسلمون معه وقال:

ـ أول القتال المطاردة ثم المراماة

ثم حمل على المشركين يقاتلهم حتى خرق صفهم إلى شاطئ النهر ثم عاد إلى موقعه

وأقبلت فيلة الفرس ومعها المشاة يحمونها من ظهورها خشية أن تقطع أذنابها أو أحزمتها ـ كما فعل فى اليوم الأول ـ فتقاتلوا حتي عدل النهار

وكان القتال فى هذا اليوم شديدا على المسلمين والفرس على السواء ، وكان يزدجرد يبعث المدد ممن بقى عنده فيتقوى جيش الأعاجم بهم

ولولا الذى كان يفعله القعقاع بن عمرو فى اليومين الماضيين حتى أتاح لهم مجئ هاشم بن عتبة ومن معه **لكسر المسلمون وانهزموا**

*** فرار فيلة الفرس**

كان سعد بن أبى وقاص يطل ويدير المعركة من فوق قصره، وحين رأى الفيلة

تفعل بالمسلمين الأفاعيل وعادت لفعلها كيوم أرماث، استشار نفرا من الفرس كانوا قد أسلموا **فأشاروا عليه بضرب العيون والمشافر** ـ جمع مشفر وهو خرطوم الفيل ـ فأرسل سعد إلى القعقاع بن عمرو وعاصم بن عمرو التميمى:

ـ عليكما بالفيل الأبيض

كما أرسل إلى حمال والرِّبِّيل:

ـ عليكما بالفيل الأجرب

وهذان الفيلان هما أكبر الفيلة وقادتهما، والباقى تبع لهما

أما القعقاع بن عمرو وعاصم بن عمرو التميمى فحملا حملة قوية على الفيل الأبيض فوضعا رمحيهما معا فى **عينيه فرفع صوته ونفض رأسه** وطرح على الأرض من كان فوقه من الرجال ودلى مشفره فضربه القعقاع فوقع الفيل على جنبه وقتل من كان عليه

وأما الحمال فقال للربيل:

ـ اختر لنفسك إما أن تضرب مشفر الفيل الأجرب وأطعنه فى عينه، أو تطعن أنت عينه وأضرب أنا مشفره؟

فاختار الربيل الضرب، فحمل الحمال على الفيل الأجرب وطعنه فى عينه فبرك الفيل، **وضربه الربيل على مشفره فقطعه فولى هاربا** حتى وثب بنفسه فى النهر فأتبعه الفيلة فخرقت صفوف الفرس فعبرت النهر فى أثره فأتت المدائن فى صناديقها وهلك كل من فيها

*** ليلة القادسية**

وتسمى أيضا ليلة الهرير ـ أصل معنى الهرير: صوت الكلب وهو دون النبيح، وسميت ليلة الهرير لأن المسلمين تركوا الكلام وإنما كانوا يهرون هريرا ـ

بعد فرار الفيلة صار المسلمون وجها لوجه مع أهل فارس، تزاحف المسلمون على الفرس يحمى ظهورهم فرسانهم الذين قاتلوا أول النهار وحتى المساء واشتد القتال، وصبر الفريقان فخرجا على السواء، إلا الغماغم ـ أصوات الأبطال عند القتال ـ من هؤلاء وهؤلاء فسميت ليلة الهرير

وأرسل سعد بن أبى وقاص إلى طليحة بن خويلد وعمر بن معديكرب فى هذه الليلة وقال لهما:

ـ اذهبا إلى مخاضة ـ مكان قليل الماء يعبر فوقه الناس ـ أسفل العسكر لتقوما عليها بالحراسة خشية أن يأتينا العدو منها

فذهب طليحةوعمرو، فقال طليحة بن خويلد الأسدى لعمرو:

ـ لو خضنا فأتينا الفرس من خلفهم

فقال عمرو بن معديكرب:

ـ بل نعبر من أسفل

فافترقا، فأخذ طليحة نحو العسكر من وراء العتيق.

ونزل عمرو بن معد يكوب بجيشهما جميعا فأغاروا على أعدائهم

وزحف القعقاع بن عمرو نحو الفرس بدون اذن سعد بن أبى وقاص نحوهم، فقال سعد:

ـ اللهم اغفرها له وانصره فقد آذنت له وإن لم يستأذنى

وقال سعد:

ـ إذا كبرت ثلاثا فاحملوا وكبروا

ولكنهم لم ينتظروا فحملت بنو أسد، ثم نجلية ثم كندة

ثم زحف الرؤساء

فان العرب لشجاعتهم لا يطيقون الإنتظار فى ميدان القتال، بل يندفعون بكل قواهم.

وكان سعد بن أبى وقاص يطيل الوقت بين كل تكبيرة وأخرى لكى يعطيهم فرصة الإستعداد والانتظام ولكنهم ما كانوا يطيقون الصبر

ولما كبر سعد بن أبى وقاص الثالثة لحق الناس بعضهم بعضا وخالطوا الفرس واستقبلوا الليل بعد صلاة العشاء

ورأى العرب الأعاجم أمرا لم يروا مثله وانقطعت أخبار المعركة عن سعد

ورستم

وأقبل سعد بن أبى وقاص يدعو الله بالنصر للمسلمين

فلما كان الصبح استدل على نصر المسلمين بصوت القعقاع بن عمرو وهو يقول:

نحن قتلنا معشـــرا وزائـــدا   أربعة وخمسة وواحــــــدا

نحسب فوق اللبد والأســـاودا   حتى إذا ماتوا دعوت جاهدا

الله ربى واحترزت عامدا

لم تغمض للمسلمين عين فى تلك الليلة

وفى الصباح سار القعقاع بن عمرو فى الناس فقال:

ـ ان الدبرة ـ الهزيمة ـ بعد ساعة لمن بدأ القوم فاصبروا ساعة واحملوا فان النصر مع الصبر فآثروا الصبر على الجزع ـ الخوف ـ

فاجتمع إليه جماعة من الرؤساء وقصدوا رستم وصمدوا له حتى خالطوا الذين من حوله مع الصبح، وعتد الظهر طلع عليهم الغبار وهبت ريح عاصفة فقلعت سرادق رستم عن عرشه فهوى فى النهر، ووصل القعقاع بن عمرو ومن معه إلى العرش فعثروا به، وحين جاءت الريح عاصفة وأزالت السرادق إلى مكان آخر، فقام رستم عنه واختبأ فى ظل بغل عليه حمله فبصر به ورآه هلال بن عُلَّفَة فضرب هلال أربطة الحمل الذى كان على البغل وقطعها فوقع أحد جانبى الحمل على رستم ففر نحو النهر ورمى بنفسه فيه، عند ذلك رآه هلال بن عُلَّفَة فلحقه **وأخذ برجله ثم أخرجه من النهر وضرب جبينه بالسيف حتى قتله،** ثم جاء به ورماه بين أرجل البغال، **وصعد هلال عرش رستم ونادى بأعلى صوته:**

ـ قتلت رستم ورب الكعبة

فاضطرب قلب جيش الفرس عند ذلك وانهزموا

وقام الجالينوس على تل ونادى أهل فارس:

ـ اعبروا النهر

فوخزهم المسلمون برماحهم

وأرسل سعد بن أبى وقاص إلى هلال بن علفة وسأله:

ـ أين صاحبك؟

قال هلال:

ـ رميت به تحت أرجل البغال

قال سعد بن أبى وقاص:

ـ اذهب فأت به

فذهب هلال بن علفة فجاء برستم، فقال سعد بن أبى وقاص:

ـ جرده إلا ما شئت

فأخذ هلال بن علفة سلبه ـ السلب: ما يلبسه المقاتل من لباس ودروع ـ ولم يدع عليه شيئا

وأخذ ضرار بن الخطاب راية الفرس ـ درفش كابيان ـ فعوض عنها ثلاثون ألف درهم

وذهب فرسان من المسلمين فى اثر جنود الفرس، كما لحق زهرة بن عبدالله **بالجالينوس** وكان آخرهم يحمى ظهورهم فاختلفا ضربتين فقتله زهرة وأخذ سلبه

واقتتل جيش المسلمين بجنود الفرس ما بين الخرارة والسيلحين إلى النجف حتى المساء

ثم تراجعوا فبات جيش المسلمين بالقادسية

فقد أصيب الفرس فى القادسية بشر هزيمة قضت على عظمة الفرس ومحت معالم وأثار دولة كانت احدي الدولتين العظمين آنذاك.

فتح المدائن

بعد أن من العزيز المنان على المسلمين بالنصر المؤزر فى القادسية ومُنى الفرس بأبشع هزيمة عرفوها فى تاريخهم، حدثت حوادث عديدة كان من أهمها وأشهرها فتح المدائن

*** يوم برس**

توقف القتال بين المسلمين والفرس نحو شهرين وذلك لينال جند المسلمين قسطا من الراحة بعد معركة القادسية، وليستعدوا الإستعداد الكامل لتجديد القتال، **وفى هذه المدة شفى الله عز وجل سعد بن أبى وقاص من المرض** الذى أصيب به قبل موقعة القادسية ـ الدمامل وعرق النسا ـ

وسار سعد بجيش المسلمين حتى وصل برس ـ موضع بأرض بابل فيه أثار لبختنصر، كما يوجد به تل مرتفع يسمى صرح البرس ـ

وكان سعد بن أبى وقاص قد جعل على قيادة جيشه عبدالله بن المعتم، وزهرة ابن حوية، شرحبيل بن السمط فلقوا جمعا من الفرس فقاتلوهم فهرب على أثرها الفرس إلى بابل، وكان قائدهم بُصْبُهْرى هبره زهرة بن حوية بسيفه فألقى نفسه فى النهر ومات متأثرا بجراحه

وأقبل بسطام دهقان برس وصالح زهرة بن حوية وعقد له الجسور وأخبره باجتماع الفرس ببابل

*** يوم بابل**

تابع سعد بن أبى وقاص مسيرته مع جيشه حتى نزل الكوفة ـ البلدة المعروفة بأرض بابل من سواد العراق ـ مع هاشم بن عتبة، وأتاه الخبر أن الفرس قد اجتمعوا وجمعوا جنودهم للقاء زهرة بن حوية وكان عليهم الفيرزان، فزحف سعد ابن أبى وقاص بقواده إلى بابل

والتقى الجمعان، وما هى إلا جولة يسيرة من القتال حتى أوقع الله عزوجل بالفرس الهزيمة فهرب الهرمزان نحو الأهواز فأخذها ثم سار إلى نهارند ـ وبها كنرز كسرى ـ فأخذها

وأقام سعد بن أبى وقاص ببابل أياما ثم نزل كُوثى ـ بلدة بالعراق فى أرض بابل وبها مشهد الخليل إبراهيم عليه السلام، وبها مولده وبها طرح فى النار ـ، وأتى البيت الذى كان فيه إبراهيم الخليل عليه السلام محبوسا فيه فنظر فى دهشة واستغراب، وصلى على النبى الخاتم ﷺ كما صلى سعد بن أبى وقاص على إبراهيم عليه السلام وعلى الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، وتلا قوله تبارك وتعالى ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾سورة آل عمران الآية:١٤٠

*** فتح المدائن**

المدائن ـ سماها العرب بالمدائن لأنها كانت سبع مدائن يقع بعضها غربى دجلة، وبعضها الآخر فى شرقيه بينها وبين بغداد خمسة وعشرون ميلا ـ عاصمة الفرس **وهى مقر الملوك من أكاسرة الفرس وتسمى عندهم: اكتيزيغون**

قَدَّمَ سعد بن أبى وقاص إلى بهرسير زهرة بن حوية، فلما وصلها زهرة صالحه شيرزاد ـ دهقان ساباط ـ على دفع الجزية

ثم تابع زهرة بن حوية سيره حتى لاقى كتيبة لجيش الفرس تقودها ـ بوران ـ بنت كسرى، وبعد قتال مرير أصيب الفرس بشر هزيمة

وزحف سعد بن أبى وقاص على بهرسير فرأى المسلمون الإيوان ـ إيوان كسرى ـ فقال ضرار بن الخطاب:

ـ الله أكبر، أبيض كسرى، هذا وعد الله ورسوله

ولما كبر ضرار بن الخطاب كبر معه المسلمون، وكلما وصلت طائفة أو فرقة من الجيش كبروا، ثم نزل على المدينة

وفى شهر صفر دخل المسلمون بهرسير، وكان سعد بن أبى وقاص قد حاصرها أياما ثم أرسل عليها الخيل فأغارت على كل من ليس له عهد ـ عند المسلمين ـ فأصابوا عدداً كبيرا من الفلاحين فأرسل سعد بن أبى وقاص إلى

الفاروق يستأذنه فى أمرهم فكان جواب أمير المؤمنين عمر:

- إن من جاءكم من الفلاحين ممن يعينوا عليكم فهو أمانة، ومن هرب فأدركتموه فشأنكم به

فخلى سعد عنهم - أطلق سراحهم -

*** حصار المدائن الغربية**

اشتد الحصار بأهل المدائن الغربية يوما بعد يوم حتى كان طعامهم السنانير والكلاب وصبروا وتحملوا من شدة الحصار أمرا عظيما، ثم عبروا دجلة إلى المدائن الشرقية

وأنزل سعد بن أبى وقاص القوم منازلهم وأقام فى بهرسير أياما من شهر صفر - من السنة السادسة عشرة للهجرة - يريد العبور ولكنه على حذر منه فأتاه آت من الأعلاج - مفرد علج وهو المشرك - فدله على مخاضة تخاص إلى صلب الوادى، فأبى سعد وتردد عن ذلك

وفجأة رمى دجلة بالمد، ورأى سعد رؤيا: أن خيول المسلمين تعبر دجلة بكل راحة وأمان فعزم عزمه كله على العبور

وجاءه رجل آخر من الفرس يقول له:

- ما يقيمك؟ لا يأتى عليك ثلاثة حتى يذهب يزدجرد بكل شىء فى المدائن

فعزم سعد بن أبى وقاص **من جديد على العبور**، وجمع الناس وخطب فيهم وندب الناس إلى العبور فقال:

- من يبدأ ويحمى لنا الفراض - اسم مكان - حتى تتلاحق به الناس لكيلا يمنعوهم من الخروج.

فخرج لهذا الأمر عاصم بن عمرو - ذو البأس - كما انتدب له وخرج بعد عاصم ستمائة من أهل النجدات، فجعلهم سعد تحت امرأة عاصم بن عمرو، فسار فيهم حتى وقف على شاطئ دجلة

وقال عاصم بن عمرو:

- من يخرج معى لنمنع الفراض من عدوكم ولنحميكم حتى تعبروا؟

فانتدب له ستون كان منهم: أصم بنى ولاد، وشرحبيل فى مثلهم - قوة ونجدة - فجعلهم عاصم بن عمرو على قسمين: **قسم يركب خيولا من الإناث، وقسم آخر يركب خيولا من الذكور**

ثم اقتحموا دجلة يعبرونه، وعبر بقية الستمائة على إثرهم، فكان أول من وصل من الستين: أصم التيم، والكلج، وأبو مفزر، وشرحبيل، وحجل العجلى، ومالك بن كعب الهمدانى، وغلام من بنى الحارث بن كعب.

فلما رآهم الأعاجم وما صنعوا أعدوا للخيل التى تقدمت سعد بن أبى وقاص مثلها، فاقتحموا عليهم دجلة، فأعادوها إليهم فلقوا عاصم بن عمرو فى السرعان وقد دنا من الفراض، فقال عاصم:

- الرماح الرماح اشرعوها وتوخوا العيون

فالتقوا وتطاعنوا، وتوخى المسلمون عيونهم، وقتلوا عامتهم ونجا من الفرس **من نجا وهو أعور.**

وتلاحق المسلمون فى دجلة

وفاجأ المسلمون أهل فارس بأمر لم يكن فى حسابهم، فأجهضوهم وأعجلوهم عن جمهور أموالهم ودخل المسلمون المدائن فى صفر سنة ست عشرة واستولوا على ما بقى فى بيوت كسرى ..

*** وقيل:**

لما فتح سعد بهرسير واستقر بها تحول الفرس إلى المدائن وركبوا السفن وضموا السفن إليهم، ولم يجد سعد من السفن شيئا وتعذر عليه تحصيل شىء منها بالكلية، وقد زادت دجلة زيادة عظيمة واسود ماؤها ورمت بالزبد من كثرة الماء بها، وأخبر سعد بأن كسرى يزدجرد عازم على أخذ الأموال والأمتعة من المدائن إلى حلوان، وأنك إذا لم تدركه قبل ثلاث فات عليك وتفارط الأمر، فخطب سعد بن أبى وقاص المسلمين على شاطئ دجلة فحمد الله وأثنى عليه وقال:

ـ إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون إليهم معه، وهم يخلصون إليكم إذا شاءوا فيناوشونكم فى سفنهم وليس وراءكم شىء تخافون أن تؤتوا منه، وقد رأيت أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا، ألا إنى قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم

فقالوا جميعا:

ـ عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل

فعند ذلك ندب سعد بن أبى وقاص الناس إلى العبور وهو يقول:

ـ من يبدأ فيحمى لنا الفراض ـ يعنى ثغرة المخاضة من الناحية الأخرى ـ ليجوز الناس إليهم آمنين.

فانتدب عاصم بن عمرو وذو البأس من الناس ـ قريب من ستمائة ـ فأمر عليهم سعد بن أبى وقاص عاصم بن عمرو، فوقفوا على حافة دجلة فقال عاصم ابن عمرو:

ـ من ينتدب معى لنكون قبل الناس دخولا فى هذا البحر فنحمى الفراض من الجانب الآخر؟

فانتدب له ستون من الشجعان المذكورين، وكان الأعاجم وقوفا على الجانب الآخر من البحر فتقدم رجل من المسلمين، وقد أحجم الناس عن خوض دجلة فقال الرجل:

ـ أتخافون من هذه النطفة؟

ثم تلا قوله تبارك وتعالى **﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً﴾**سورة آل عمران الآية: ١٤٥

ثم اقتحم فرسه فى البحر، فاقتحم الناس

وقد إفترق الستون فريقين: أصحاب الخيل الذكور، وأصحاب الخيل الإناث

فلما رأى الفرس المسلمين يطفون على وجه الماء قالوا:

ـ دبوانا دبوانا

أى مجانين مجانين

ثم قالوا:

ـ والله ما تقاتلون إنْساً بل تقاتلون جنا

ثم أرسلوا فرسانا منهم فى الماء يلتقون أول المسلمين ليمنعوهم من الخروج من الماء، فأمر عاصم بن عمرو أصحابه أن يشرعوا لهم الرماح فقال:

ـ الرماح الرماح أشرعوها وتوخوا العيون

فخلعوا عيون خيل الأعاجم، وفروا أمام المسلمين.

لا يملكون كف خيولهم حتى خرجوا من الماء وأتبعهم عاصم وأصحابه فساقوا وراءهم حتى طردوهم عن الجانب الآخر

ثم نزل سعد بن أبى وقاص ببقية الجيش وذلك حين نظر إلى الجانب الآخر فرأى أنه قد تحصن بمن فيه من فرسان المسلمين، وقد أمر سعد المسلمين عند دخول الماء أن يقولوا:

ـ نستعين بالله ونتوكل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

ثم اقتحم بفرسه دجلة، واقتحم الناس لم يتخلف عنه أحد، فساروا فيها **كأنما يسيرون على وجه الأرض،** وذلك لما حصل لهم من الطمأنينة والأمن، والوثوق بأمر الله ووعده ونصره وتأييده لسعد بن أبى وقاص خال رسول الله ﷺ ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة والذى دعا له خاتم النبيين ﷺ فقال:

ـ اللهم أجب دعوته وسدد رميته

وقد دعا سعد لجيشه فى هذا اليوم بالسلامة والنصر، فلم يفقد جيش المسلمين وهو يعبر نهر دجلة غير قدح من خشب

*** دخول المدائن**

لما خرجت الخيل من الماء نفضت أعرافها صاهلة فانطلقوا وراء الأعاجم حتى دخلوا المدائن، فلم يجدوا بها أحدا، بل قد أخذ كسرى أهله وما قدروا عليه من الأموال والأمتعة والخواص، وتركوا ما عجزوا عنه من الأنعام والثياب والمتاع والآنية والألطاف والأدهان مالا يدرى قيمته، وكان فى خزانة كسرى ثلاثة آلاف ألف ألف دينار، فأخذوا من ذلك ما قدروا عليه وتركوا ما عجزوا عنه وهو مقدار النصف من ذلك أو ما يقاربه

وكان أول من دخل المدائن كتيبة الأهوال، ثم الكتيبة الخرساء

ولما جاء سعد بن أبى وقاص بالجيش دعا أهل القصر الأبيض ثلاثة أيام على **لسان الصحابى الجليل سلمان الفارسى،** فلما كان اليوم الثالث نزلوا منه **وسكنه سعد، واتخذ الإيوان مصلى**

وحين دخل سعد القصر الأبيض تلا قوله تعالى **﴿كَمْ تَرَكُوا من جنَّات وَعُيُون . وَزُرُوع وَمَقَام كَرِيم (٢٦) وَنَعْمَة كَانُوا فِيها فاكِهِين (٢٧) كذلك وأورثناها قوما آخرين﴾**{سورة الدخان الآية: ٢٥ـ٢٨}

ثم تقدم إلى صدره فصلى ثمان ركعات صلاة الفتح، صلاها بتسليمة واحدة

وجمع ـ صلى صلاة الجمعة ـ بالإيوان فى صفر من هذه السنة سنة ست عشرة من الهجرة، فكانت أول يوم جمعة بالعراق

*** الغنائم**

جعل سعد بن أبى وقاص عمرو بن مقرن على جمع أموال الغنائم، وعلى القسمة سلمان بن ربيعة الباهلى، فجمع ما فى القصور والإيوان والدور والأسواق، وأحصى ما يأتيه به الطلب، وكان أهل المدائن قد نهبوا عند الهزيمة وهربوا فى كل وجه، **فما أفلت أحد منهم بشىء إلا أدركهم الطلب** فأخذوا ما معهم، ووجدوا بالمدائن قبابا تركية مملوءة سلالا مختومة برصاص فحسبوها طعاما فاذا فيها آنية الذهب والفضة. وكان الرجل يطوف ليبيع الذهب والفضة متماثلين،

ووجد كافوراً كثيرا. فحسبوه ملحا فعجنوا به فوجدوه مُراً

وأدرك الطلب مع زهرة بن حوية جماعة من الفرس على جسر النهروان فازدحموا عليه فوقع منهم بغل فى الماء فعجلوا وكبوا عليه، فقال بعض المسلمين:

- إن لهذا البغل لشأنا

فجالدوهم عليه حتى أخذوا البغل فوجدوا فيه حلية كسرى: ثيابه وخزانته، ووشاحه، ودرعه التى فيها الجواهر، وكان يجلس فيه للمباهاة

ولحق الكلج - الكلخ - بغلين معهما فارسيان فقتلهما وأخذ البغلين فأبلغهما صاحب الأقباض وهو يكتب ما يأتيه من الرجال فقال له:

- قف حتى ننظر ما معك

فحط عنهما فاذا سفطان فيهما تاج كسرى مرصعا، وعلى البغل الآخر سفطان فيهما ثياب كسرى التى كان يلبسها وكانت من الديباج المنسوج بالذهب المنظوم بالجواهر وغير الديباج منسوجا منظوما.

وأدرك القعقاع بن عمرو فارسيا فقتله وأخذ منه عيبتين فى احداهما خمسة أسياف وفى الأخرى ستة أسياف ودروع منها درع كسرى ومغافره ودرع هرقل، ودرع خاقان ملك الترك ودرع داهر ملك الهند ودرع بهرام جربين، ودرع النعمان

فأحضر القعقاع الجميع عند سعد بن أبى وقاص فخيره بين الأسياف فاختار سيف هرقل وأعطاه درع بهرام ونقل سائرها فى الكتيبة الخرساء

وأدرك عصمة بن خالد الضبى رجلين معهما حماران فقتل أحدهما وهرب الآخر، وأخذ الحمارين فأتى بهما صاحب الأقباض فاذا على أحدهما سفطان فى أحدهما فرس من ذهب بسرج من فضة وعلى ثغره ولببه الياقوت والزمرد المنظوم على الفضة، ولجام كذلك، وفارس من فضة مكلل بالجواهر، وفى الآخر ناقة من فضة عليها شليل - مسح من صوف أو شعر يجعل على عجز البعير - من ذهب وبطان من ذهب ولها زمام من ذهب، وكل ذلك منظوم بالياقوت، وعليها رجل من ذهب مكلل بالجواهر، كان كسرى يضعها على اسطوانتى التاج.

فأخرج سعد بن أبى وقاص خمس الغنائم وأرسله إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

فلما قدمت الغنائم على الفاروق ورأى سيف كسرى ومنطقته وزبرجده قال:

ـ إن قوما أدوا هذا لذوو أمانة

فقال على بن أبى طالب:

ـ إنك عففت فعفت الرعية

*** فتح تكريت**

بعث الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص الجيوش إلى تكريت، وكان يحميها جيش من الروم وقبائل إياد وتغلب والنمر والشهارجة ـ وهى قبائل مسيحية ـ وعلى رأسهم الأنطاق، وكان الفاروق قد كتب إلى سعد أن ابعث عبدالله بن المعتم على رأس جيش إلى تكريت وليكن على مقدمته ربعى بن الأفكل، وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة

فسار عبدالله بن المعتم إلى تكريت وحاصرها أربعين يوما، وأرسل عبدالله إلى العرب الذين مع الأنطاق يدعوهم إلى نصرته وكانوا لا يخفون عليه شيئا

ولما رأت الروم المسلمين ظاهرين ـ منتصرين ـ عليهم تركوا أمراءهم ونقلوا أمتعتهم إلى السفن، فأرسلت قبائل تغلب وإياد والنمر إلى عبدالله بن المعتم بالخبر وسألوه الأمان وأعلموه أنهم معه

فأرسل عبدالله اليهم:

ـ إن كنتم صادقين فأسلموا

فأجابوه إلى الاسلام

وأسلموا، فأرسل إليهم عبدالله بن المعتم:

ـ إذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا أنا أخذنا أبواب الخندق فخذوا الأبواب التى تلى دجلة وكبروا، واقتلوا من قدرتم عليه

فلما سمعوا تكبير عبالله بن المعتم ومن معه أخذوا الأبواب التى تلى دجلة وقتلوا الروم جميعا ولم يفلت من أهل الخندق إلا من قبائل البدو

وأرسل عبدالله بن المعتم ربعى بن الأفكل إلى حصنى: نينوى ـ قرية نبى الله يونس بن متى عليه السلام ـ والموصل، فكانت نينوى الحصن الشرقى، والموصل الحصن الغربى، فاقتحم ربعى بن الأفكل الحصنين، وصالحه أهلهما على الجزية، وساروا من أهل الذمة

*** فتح ماسبذان**

بلغ سعد بن أبى وقاص أن آذين بن الهرمزان قد جمع جموعا غفيرة من أهل فارس وسار بهم إلى السهل، فكتب سعد إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يخبره بذلك

فأجابه الفاروق:

أن ابعث إليهم ضرار بن الخطاب مع جنده وليكن فى مقدمته ابن الهذيل الأسدى، وعبدالله بن وهب الراسى، والمضارب على مجنبتى ابن الهذيل الأسدى

فخرج ضرار بن الخطاب بن محارب بن فهر فى جنده وجعل مقدمته ابن الهذيل ـ كما أشار الفاروق بذلك ـ حتى وصل إلى سهل ماسبذان

والتقى الجيشان بهندف ـ بلدة صغيرة من نواحى بغداد بين باذرايا وواسط ـ واقتتلوا قتالا شديدا، وأخذ ضرار بن الخطاب على آذين بن الهرمزان أخذ شديدا **فأسره**، فلم ير جيش الفرس بدا من الهزيمة فلاذ بها، ثم مالبث ضرار بن الخطاب أن ضرب **عنق آذين بن الهرمزان فقتله**.

وخرج ضرار بن الخطاب وجيشه يتابع سيره حتى انتهى إلى السيروان، فأخذ ماسبذان عنوة وقهراً فهرب أهلها فى الجبال، فدعاهم ضرار بن الخطاب، فاستجابوا له، وأقام ماسبذان حتى تحول سعد بن أبى وقاص من المدائن إلى الكوفة فنزلها، ثم أرسل سعد إلى ضرار أن يكون معه فى الكوفة فخرج إليه، واستخلف ابن الهذيل الأسدى على ماسبذان

*** فتح قرقيسياء**

بعد عودة هاشم بن عتبة من جلولاء إلى المدائن بلغ المسلمين بأن جموع أهل الجزيرة قد اجتمعت، وأمدوا هرقل على أهل حمص، وبعثوا جندهم إلى أهل هيت ـ سميت بذلك لأن موقعها فى هوة من الأرض، وهى بلدة على الفرات من نواحى بغداد فوق الأنبار، ذات نخل وخيرات كثيرة ـ

فكتب سعد بن أبى وقاص لعمر بن الخطاب يخبره بذلك

فكتب الفاروق:

أن أرسل اليهم عمر بن مالك فى جيش على مقدمته الحارث بن يزيد العامرى، وعلى طرفيه: ربعى بن عامر، ومالك بن حبيب

فخرج عمر بن مالك فى جنده سائرا نحو هيت، وقدم الحارث بن يزيد حتى نزل على عدوة فى هيت فراهم قد جعلوا حولهم الخندق

ولما رأى عمر بن مالك تحصن القوم وامتناههم عليه فى الخندق، حاصرهم طويلا، وجعل على الجند المحاصر الحارث بن يزيد

وخرج عمر بن مالك فى نصف جنده ليقطع على الفرس الطريق ويمنع عنهم الإمداد حتى يقدم عليهم قرقيسياء ـ معّرب كركيسيا مأخوذ هذا الاسم من كركيس، وهو اسم لإرسال الخيل المسمى: الحلبة ـ فى غرة من أمرهم.

ونزل عمر بن مالك على جيش الأعداء فاقتتلوا قتالا عنيفا مدة من الزمن حتى فتح قرقيسياء عنوة، ثم أجابوه إلى الصلح ودفع الجزية.

وكان عمر بن مالك قد كتب إلى الحارث بن يزيد:

أن ادعهم فان هم استجابوا فخل عنهم فليخرجوا وإلا فاجعل على خندقهم خندقا أبوابه مما يليك فاستجاب القوم وانضم الجند إلى عمر بن مالك

وعادت الأعاجم إلى بلادهم

وهكذا تم للمسلمين فتح العراق ودخل أهلها فى دين الله أفواجا على عدة مراحل

وأرسل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص:

أن يبنى بلدة ليس بينها وبين عمر بحر ولا جسر

فاختار سعد بن أبى وقاص الكوفة وهى ما بين الحيرة والفرات منزلا بريا بحريا فيه النبات والعشب كما أتم بناء مدينة البصرة، وكان لبنائها أثر عظيم فى الخلافة، وكان معظم السكان من أصل عربى، فقد كانت الكوفة مسكنا للقبائل العربية الوافدة من الجنوب، والبصرة سكنا للوافدين من الشمال.

فتح بلاد الشام

*** حدودها**

يحدها من الشمال الشرقى نهر الفرات، وتمتد هذه الحدود إلى الجنوب الغربى حيث مدينة العريش وهى البلدة المتاخمة للديار المصرية، ومن جبال طىء حيث الجنوب الشرقى إلى بحر الروم ـ البحر الأبيض المتوسط ـ، وجبال الأناضول فى الشمال الغربى

*** أشهر مدن الشام**

دمشق، القدس، نابلس، حمص، حماة، حلب، عمان، بيروت، عسقلان، غزة، صيدا، صور، طرابلس، بعلبك، منبج، المعرة

*** بعض خصائصها وميزاتها**

بلاد الشام بلاد واسعة كثيرة الخير، واسعة البركة، تكثر فيها البساتين والحدائق والمتنزهات، الفواكه فيها كثيرة ورخيصة، كثيرة الأمطار والثلوج

والشام الأرض المقدسة التى جعلها الله عزوجل مهبط الوحى ومولد الأنبياء، ومأوى الأولياء

وقف النبى الأمى العربى القرشى الهاشمى ﷺ يوما على المنبر ونظر قبل الشام وقال:

ـ **اللهم أقبل بقلوبهم، اللهم أقبل بقلوبهم** (رواه ابن عساكر عن جابر)

ثم قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

ـ إنكم ستظفرون بالشام وتُغلبون عليها وتصيبون على سيف بحرها حصنا يقال له أنفة، يبعث الله منه يوم القيامة اثنى عشر ألف شهيد (رواه الطبرانى فى الكبير، وابن عساكر عن أبى أمامة)

فقال رجل:

- خر لى يا رسول الله

قال عليه الصلاة والسلام:

- إنى أختار لك الشام، فإنه خيرة المسلمين وصفوة الله من بلاده يجتبى إليه صفوته من خلقه، فمن أبى فليلحق بيمنه وليسق من غدره، فإن الله تعالى قد تكفل لى بالشام (رواه الطبرانى فى الكبير عن العرياض)

وقال السراج المنير ﷺ :

- عليك بالشام فانها خيرة الله من بلاده - أرضه -، يجتبى إليها خيرته من عباده (رواه ابن عساكر)

ويقول زيد بن ثابت:

بينما نحن عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع إذ قال:

- طوبى للشام

قيل:

- يا رسول الله ولم ذاك؟

قال الصادق المصدوق ﷺ :

- لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه (رواه ابن أبى شيبة، والإمام أحمد، الترمذى)

وتقول أم المؤمنين عائشة:

هب النبى ﷺ من نومه مذعورا وهو يُرَجِّع فقلت:

- ما لك بأبى وأمى؟

قال خاتم النبيين ﷺ :

- سل عمود الإسلام من تحت رأسى فأوحشنى، ثم رميت ببصرى فاذا هو غرز فى وسط الشام فقيل لى:

يا محمد إن الله اختار لك الشام ولعباده فجعلها لكم عزا ومحشرا ومنعة وذكرا، من أراد الله به خيرا أسكنه الشام وأعطاه نصيبا منها، ومن أراد الله به شرا أخرج سهما من كنانته وهى معلقة فى وسط الشام فرماه بها فلم يسلم فى دنيا ولا آخرة (رواه ابن عساكر)

*** حاصلات الشام**

من أشجار الشام: الصنوبر، البلوط، الحور، الزيتون، النخيل، العنب، الجوز، اللوز، التوت

من فواكه الشام :

التين، المشمش، الكمثرى، الخوخ، الدراق، الحمضيات كالبرتقال بأنواعه، والليمون، الرمان

من مزروعاته:

القمح، الشعير، العدس، الحمص، الفول، الذرة، السمسم و.. وغير ذلك

فتح دمشق

سمع عبدالرحمن بن زياد بن أنعم عمرو بن جابر الحضرمى يقول:

ـ سمعت رسول الله ﷺ يقول:

من سكن دمشق نجا

فقال عبدالرحمن بن زياد لعمرو بن جابر الحضرمى:

ـ أعن رسول الله ﷺ هذا؟

قال عمرو بن جابر الحخرمى:

ـ أعن رأيى أحدثك؟ (رواه ابن عساكر)

وقال الصادق المصدوق ﷺ:

ـ ألا إنها ستفتح عليكم الشام، فعليكم بمدينة يقال لها دمشق، فانها خير مدائن الشام وفسطاط المؤمنين بأرض منها يقال لها الغوطة وهى معقلهم (رواه ابن النجار عن جبير بن نفير)

*** دمشق حصن الشام وبيت ملكهم**

بعد أن نصر الله المسلمين باليرموك استخلف أبو عبيدة بن الجراح على اليرموك بشير بن كعب بن أبى الحميرى، وسار حتى نزل بالصفر فأتاه خبر بأن الروم يجمعون جموعهم بفحل ـ موضع من أرض الأردن ـ، وأن مددًا من جيش الروم قد أتى أهل دمشق من حمص، فلم يدر أبو عبيدة بن الجراح أيبدأ بفتح دمشق أم فحل؟

فكتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يستشيره فكتب الفاروق إلى أبى عبيدة:

أما بعد

فابدؤوا بدمشق وانهدوا ـ نهد: شرع فى القتال ـ لها فإنها حصن الشام وبيت

ملكهم، واشغلوا عنكم أهل فحل بخيل تكون بازائهم فى نحوهم وأهل فلسطين وأهل حمص، فان فتحها الله قبل دمشق فذاك الذى نحب، وإن تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق فلينزل بدمشق من يمسك بها ودعوها، وانطلق أنت وسائر الأمراء حتى تغيروا على فحل فان فتح الله عليكم فانصرف أنت وخالد إلى حمص، ودع شرحبيل وعمروا وأخلهما بالأردن وفلسطين

فأرسل أبو عبيدة بن الجراح إلى فحل عشرة من قواده هم:

أبو الأعور السلمى، عبد عمرو بن يزيد بن عامر الجرشى، عامر بن خثعمة، عمرو بن الصعق بن كعب، صيفى بن علبة بن شامل، عمرو بن الحبيب بن عمر، لبدة بن عامر بن خثعمة، بشر بن عصمة، عمارة بن مخش، **وولى عمارة بن مخش قائدا عليهم**

فسار بهم عمارة من الصفر حتى نزلوا قريبا من فحل

فلما رأت الروم أن جنود المسلمين تريدهم فجروا المياه حول فحل فتوحلت الأرض، واغتم المسلمون لهذا الأمر فكان أول محصور بالشام أهل فحل ثم أهل دمشق

وبعث أبو عبيدة بن الجراح ذا الكلاع فى جند فنزلوا بين حمص ودمشق ردءا وحماية لهم، وبعث علقمة بن حكيم ومسروقا فكانا فى جند بين دمشق وفلسطين، وقدم خالد بن الوليد وعلى مجنبتيه عمرو بن العاص وأبو عبيدة بن الجراح، وجعل على الخيالة عياض وعلى المشاة شرحبيل

*** حصار دمشق**

سار أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد فقدموا على دمشق وكان عليها نسطاس بن نسطوس فحاصر المسلمون دمشق، ونزلوا من جميع أطرافها، فكان أبو عبيدة على ناحية، وعمرو بن العاص على ناحية، ويزيد على ناحية ثالثة، وكان هرقل يومها بحمص

ودام حصار المسلمين لأهل دمشق نحو سبعين ليلة ، وكان حصارا شديدا حيث يزحف المسلمون مرة بعد أخرى يرمونهم بالنبال والمجانيق، وأهل دمشق

معتصمون فى داخلها يرجون الغوث والمدد من أهل حمص، غير أن ذا الكلاع مع جيشه كان بين الذين يحاصرون دمشق وبين حمص، وجاءت خيول هرقل من حمص مددًا لأهل دمشق، فأغارت عليها خيل ذى الكلاع وجيشه وشغلتها عن الوصول إلى دمشق ونزلوا بازائه.

وأهل دمشق على حالهم ينتظرون الغوث والمدد، فلما أيقنوا أن امدادات هرقل لا تصل إليهم أصابهم الضعف والوهن، وازداد المسلمون طمعا فيهم، وفى هذه الأثناء ولد لبطريق دمشق مولود فسر القوم وأكلوا وشربوا وغفلوا عن موقعهم، ولم يشعر بذلك أحد من المسلمين.

إلا خالد بن الوليد الذى كان لا ينام ولا ينيم دائب اليقظة شديد الحذر، يرسل عيونه، ويلتقط الأخبار فعلم أن أهل دمشق شربوا الخمر وأكثروا من اللهو والغفلة. فأعد للأمر عدته وهاجم أسوار المدينة من قبله ليلا حتى افتتحها عنوة.

ولما رأى الروم ذلك سارعوا إلى الباب الذى يلى أبو عبيدة ففتحوه له وقالوا:

ـ ادخل وامنعنا من أهل ذلك الجانب.

ودخل أهل كل باب بصلح مما يليهم

ودخل خالد بن الوليد عنوة فالتقى خالد والقواد فى وسط دمشق هذا قتلا ونهبا وهذا صفحا وتسكينا فأجروا ناحية خالد مجرى الصلح وكان صلحهم على المقاسمة **أى صار فتح دمشق صلحا.**

وأرسل أبو عبيدة بن الجراح إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بالفتح.

فوصل كتاب الفاروق إلى أبى عبيدة بن الجراح.

يأمره بارسال جند العراق نحو العراق إلى سعد بن أبى وقاص.

وكان فتح دمشق فى شهر رجب فى السنة الرابعة عشرة للهجرة.

فتح فحل

بعد أن تم فتح دمشق لأبى عبيدة بن الجراح استخلف أبو عبيدة عليها يزيد ابن أبى سفيان، وسار بنفسه إلى فحل وجعل على مقدمة جيشه خالد بن الوليد، وعلى الناس عامة شرحبيل بن حسنة، ـ كان على ولاية الحرب فى الأردن ـ وقد عين على المجنبتين أبو عبيدة، عمرو بن العاص، وجعل على الخيالة ضرار بن الأزور، وعلى المشاة عياض بن غنم.

وكان أهل فحل قد تركوها وعسكروا بجيشهم فى بيسان ـ مدينة بالأردن بالغور الشامى وهى بين جوران وفلسطين ـ، ونزل شرحبيل بن حسنة فى فحل، وبينهما تلك المياة والأوحال.

وكتب أبو عبيدة بن الجراح إلى الفاروق يخبره بالأمر، وكان المسلمون يحدثون أنفسهم بالمقام بفحل بدون قتال حتى يأتيهم رد أمير المؤمنين عمر، وهم لا يستطيعون الإقدام على عدوهم **لما كان بينهم من الأوحال**.

وكان على جيش الروم سقلار بن مخراق فخرجوا وأغاروا على المسلمين الذين كانوا حذرين وعلى تعبئة دائما. . فاقتتلوا قتالا شديدا ليلا ونهارا، فأظلم على الروم الليل فلاذوا بالفرار **بعد أن أصيب سقلار بن مخراق ونسطوس** وظفر المسلمون بهم وركوبهم فانتهت بالروم الهزيمة بفحل.

فتح بيسان وطبرية

اندفع شرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص إلى أهل بيسان فنزلوا عليهم وأبو الأعور السلمى والقواد معه على طبرية.

وقد بلغ قرى بلدان الأردن ما حصل فى دمشق، كما بلغهم مقتل سقلار بن مخراق ونسطوس وهزيمة الروم بفحل وفى الرغدة .

وخرج الروم لملاقاة جيش شرحبيل بن حسنة فاقتتلوا قتالا شديدا فلاذوا بالفرار

وصالح بقية الروم علي صلح دمشق فقبل شرحبيل بن حسنة منهم.

كما صالح أهل طبرية على صلح أهل بيسان على أن يشاطروا المسلمين المنازل فى بلدانهم فيدعون للمسلمين نصفها ويجتمعن فى النصف الآخر.

وكتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بالفتح.

فتح حمص

تقع مدينة حمص بين حلب ودمشق ولها سور، وفى طرفها الجنوبى قلعة حصينة على تل عال، وكان أهل الجزيرة قد أرسلوا إلى ملك الروم يحثونه على ارسال جنود إلى الشام وواعدوه المساعدة فأجابهم إلى طلبهم .

وكان أبو عبيدة بن الجراح بعد أن فتح الله على يديه فحل ووزع الغنائم سمع بخبر الروم فخرج بخالد بن الوليد ومن معه إلى حمص.

واستشار أبو عبيدة بن الجراح أبا سليمان فقال خالد بن الوليد:

ـ نناجز الروم حتى وصول المدد.

ورأى غير خالد بن الوليد التحصن، فرفض أبو عبيدة رأى خالد وتحصن وخندق على حمص وكتب إلى الفاروق بخروج الروم عليه.

وكان أهل حمص يقولون:

ـ تمسكوا بمدينتكم فانهم حفاة فاذا أصابهم البرد تقطعت أقدامهم.

فلما أقبل الشتاء كانت أصابع أقدام الروم تسقط ولا يسقط للمسلمين اصبع.

فلما خرج الشتاء قام شيخ من الروم فدعاهم إلى مصالحة المسلمين فلم يجيبوه وقام آخر فلم يجيبوه، فأخذهم المسلمون فكبروا تكبيرة فانهدم كثير من دور حمص وزلزلت حيطانهم فتصدعت،فكبروا ثانية فأصابهم أعظم من ذلك.

فخرج أهل حمص إلى المسلمين يطالبون الصلح ولا يعلم المسلمون بما حدث فيهم فأجابوهم وصالحوهم على صلح دمشق.

وبعث أبو عبيدة بالأخماس مع **عبد الله بن مسعود** إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، واستخلف أبو عبيدة بن الجراح الصحابى الجليل **عبادة بن الصامت** على حمص.

فتح الجزيرة

كتب الفاروق إلى سعد بن أبى وقاص:

إن الله فتح على المسلمين الشام والعراق فأرسل من عندك إلى الجزيرة، سميت الجزيرة: لأنها بين دجلة والفرات، وهى موطن ديار مُضر، وديار بكر، فيها مدن عديدة وحصون وقلاع كثيرة، ومن مدنها: حران، الرقة، رأس العين، نصيبين، الموصل و. . و. . - واجعل الأمير عليهم أحد ثلاثة: خالد بن عرفطة، أو هاشم بن عتبة، أو عياض بن غنم.

فلما وصل كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص جهز جيشا وكان فيه أبو موسى الأشعرى وعمر بن سعد بن أبى وقاص - وهو غلام حدث السن - وعثمان بن أبى العاص بن بشر الثقفى **وجعل عياض بن غنم أميرا وقائدا.**

نزل عياض بن غنم بمن معه من الجند على الرهطاء فصالحه أهلها وصالحت حران بمثل صلح أهل الرهطاء من الجزية، ثم بعث عياض بن غنم أبا موسى الأشعرى إلى نصيبين. كما وجه عمر بن سعد بن أبي وقاص إلى رأس العين فى خيل حماية لظهر المسلمين من الروم.

وسار عياض بن غنم بنفسه فى بقية الناس من جنده إلى دارا - بلدة فى طرف جبل بين نصيبين وماردين وعندها كان معسكر دارا بن دارا الملك بن قباذ الملك لما لقى الاسكندر فقتله الاسكندر وتزوج ابنته - فنزل عليها حتى افتتحها وافتتح أبو موسى نصيبين، وأجرى المسلمون كل ما أخذوه من الجزيرة عنوة مجرى الذمة، **فكانت الجزيرة أسهل البلدان فتحا وأيسره.**

فتح أنطاكية

سار أبو عبيدة بن الجراح إلى أنطاكية وقد لحق بها أناس من جند قنسرين، فلما وصل أبو عبيدة بمهروية على فرسخين من أنطاكية لقيه جمع للعدو ففضهم وألجأهم إلى المدينة فحاصروهاثم صالحه أهلها على الجزية والجلاء، فجلا بعضهم، وأقام بعضهم بها فأمنهم على أنفسهم، ثم نقضوا العهد. . فقاتلهم حتى فتحها من جديد

فتح حلب

لما انتهى أبو عبيدة من فتح قنسرين وصالح أهلها على صلح أهل حمص سار إلى حلب.

ثم بلغه خبر مفاده أن **أهل قنسرين نقضوا العهد وغدروا**، فأرسل إليهم جماعة من الجند لتأديبهم.

وواصل أبو عبيدة بن الجراح مسيره مع جنده حتى وصل مشارف حلب فعسكر فيها، واجتمع إليهّ عدد من أصناف العرب وصالحوه على الجزية ثم أعلنوا اسلامهم بعد ذلك.

ثم أتى حلب وعلى مقدمة جيشه عياض بن غنم الفهرى، وتحصن أهلها، وحاصرهم المسلمون حصارا شديدا، فلم يلبث أهل حلب أن طلبوا الصلح والأمان على أنفسهم ومدينتهم وكنائسهم وحصنهم.

وقيل:

إن أبا عبيدة لم يشاهد أحدا من أهلها لأنهم انتقلوا منها إلى أنطاكية وأرسلوا إليه يطلبون الصلح فلما صالحهم أبو عبيبدة رجعوا إليها، أما قلعتها فقد حاصرها المسلمون أربعة أشهر أو أكثر.

وقتل بالطريق إليها جماعة من المسلمين.

وكتب أبو عبيدة إلى الفاروق:

بسم الله الرحمن الرحيم.

إلى عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من عامله بالشام أبى عبيدة

سلام عليك وإنى أحمد الله تعالى وأصلى على نبيه ﷺ

وبعد

يا أمير المؤمنين فإن الله تعالى له الحمد قد فتح على أيدينا قنسرين وقد قام جند نابشن بالغارة تلو الغارة على العواصم وقد فتح الله علينا **حلبا صلحا** وقد عصت علينا قلعتها، وبها خلق كثير مع بطريقها، وقد كادنا مرارا، وأنه قتل منا

رجالا ورزقهم الله الشهادة على يديه، والله تعالى من ورائه بالمرصاد، وقد أردنا الحيلة عليه فلم نقدر، وأردت الرحيل عنه وعن محاصرته إلى البلاد التى بين حلب وانطاكية .

وأنا منتظر جوابك والسلام عليك وعلى جميع المسلمين.

فكتب الفاروق إليه:

فقد ورد على كتابك مع رسلك فسرنى ما سمعت من الفتح والنصر على أعدائكم ومن قتل من الشهداء وأما ما ذكرته من انصرافك إلى البلاد التى بين **حلب وأنطاكية، وتترك القلعة ومن فيها، فهذا رأى غير صواب، تترك رجلا قد دنوت من دياره وملكت مدينته ثم ترحل فيبلغ ذلك إلى جميع النواحى أنك لم تقدر عليه ولم تذهب إليه فيضعف ذكرك ويعلو ذكره، ويطمع من يطمع ويجترىء عليك أجناد الروم خاصتهم وعامتهم وترجع إليه الجواسيس وتكاتب ملوكها فى أمرك، فإياك أن تبرح عن مجاهدته حتى يقتله الله أو يسلم إليك إن شاء الله تعالى، أو يحكم الله وهو خير الحاكمين.**

وبث الخيل فى السهل والوعر والضيق والسعة وأكتاف الجبال والأودية وشن الغارات فى حدود الغارات ومن صالحكم منهم فأقبل صلحه، ومن سالمك فسالمه والله خليفتى عليك وعلى المسلمين، وقد أنفذ كتابى هذا مع عصبة من حضر موت وغيرهم، وأهل مشايخ اليمن ممن وهب نفسه لله تعالى ورغب فى الجهاد فى سبيل الله، وهم عرب فرسان ورجال، والمدد يأتيك متواترا إن شاء الله تعالى والسلام.

وختم أمير المؤمنين عمر الكتاب وسلمه إلى عبد الله بن قرط، جعدة بن جبير ـ وهما رسولا أبى عبيدة إلى عمر ـ

ثم وصل المدد إلى أبى عبيدة وكان فيهم مولى من موالى بنى طريف من ملوك كندة يقال له: دامس ويكنى بأبى الأهوال رجل مشهور باسمه وكنيته، وكان أسود اللون، طويل القامة فارسا شجاعا شاع ذكره فى بلاد كندة.

لما رأى دامس الحصن ومناعته فكر طويلا ليجد حيلة توصله إلى القلعة.

وأخيرا وجد **دامس** أن يتسلق الحصن مع رجال من المسلمين، فتسلق الحصن مع جماعة فوجدوا حراس باب القلعة نائمين فقتلهم، ثم جاءوا إلى الباب الثانى فوجدوا حراس الباب نائمين فقتلهم وفتحوا البابين فدخل منهما جند الله وقاتلوهم الروم قتالا شديدا.

ودخل خالد بن الوليد مع جيشه الزاحف، كما دخل القلعة أيضا ضرار بن الأزور.

فلما رأى الروم جيش المسلمين أيقنوا أنهم لا قدرة لهم علي حربهم فألقوا السلاح ونادوا:

ـ الغوث الغوث

وكفوا أنفسهم عن القتال

فكف المسلمون أيديهم عنهم.

وبينما هم ذلك إذ أقبل أبو عبيدة بن الجراح ومعه عساكر المسلمين فقال خالد ابن الوليد:

يا أبا عبيدة بن الجراح إن الروم يطلبون الأمان، ولقد رفعنا عنهم القتل حتى تأتى وترى فيهم رأيك

فرد أبو عبيدة بن الجراح عليهم الإسلام، فأسلم جماعة من ساداتهم.

فعرض عليهم أبو عبيدة أموالهم وأهاليهم.

واستبقى أبو عبيدة منهم الفلاحين وعفا عنهم من القتل والأسر، وأخذ عليهم العهود ألا يكونوا إلا مثل أهل الصلح والجزية، فيحفظوا العهد ويصونوا الميثاق، وأخرجهم من القلعة.

وأخذ المسلمون يتحدثون عن دامس وحيله، وعالجوا جراحه حتى برىء وشقى فأعطاه أبو عبيدة بن الجراح سهمين مما أفاء الله عليه.

فتح بيت المقدس

وهو ايلياء

قال ذو الاصبع:

ـ يا رسول الله أرأيت إن ابتلينا بالبقاء بعدك أين تأمرنا؟

قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ

ـ عليك ببيت المقدس، لعل الله يرزقك ذرية يغدون ويروحون إليه

وفى لفظ:

فانه لعلك أن يتفق لك ذرية يغدون إلى ذلك المسجد ويروحون إليه ـ

وفى لفظ:

فانه لعلك أن يتفق لك ذرية يغدون إلى ذلك المسجد ويروحون. (رواه ابن زنجويه، وابن نافع، والطبرانى فى الكبير، وابن النجار.)

فقال أبو ذر الغفارى:

ـ يا رسول الله الصلاة فى مسجدك هذا أفضل أم الصلاة فى بيت المقدس؟

قال صاحب الخلق العظيم ﷺ.

ـ صلاة فى مسجدى هذا أفضل من أربع صلوات فى بيت المقدس، ولنعم المصلى فى أرض المحشر والمنشر، وليأتين على الناس زمان ولقيد سوط الرجل حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعا (رواه البيهقى فى شعب الايمان عن أبى ذر الغفارى).

وسألت ميمونة مولاة النبى ﷺ:

ـ أنبئنا يا رسول الله عن بيت المقدس.

قال أبو القاسم ﷺ:

ـ أرض المحشر والمنشر، ائتوه فصلوا فيه، فان صلاة فيه كألف صلاة فيما سواه.

قالت ميمونة:

ـ أرأيت إن لم نطق نأته؟

قال نبى الرحمة ﷺ؟

ـ فمن لم يطق ذلك فليهد إليه زيتا يسرج فيه، فمن أهدى كمن صلى فيه.

(رواه أبو داو، والإمام أحمد وابن زنجويه عن ميمونة مولاة رسول الله ﷺ)

*** تسير الجيوش إلى بيت المقدس**

سير أبو عبيدة بن الجراح سبعة جيوش وعلى كل جيش قائد، وضم إليه خمسة آلاف فارس، وعقد لكل قائد راية، فكان مجموع من سيره أبو عبيدة **خمسا وثلاثين ألف فارس**، وهؤلاء القادة هم:

خالد بن الوليد

يزيد بن أبى سفيان.

شرحبيل بن حسنة

المرقال بن هاشم بن عتبة بن أبى وقاص

قيس بن هبيرة المرادى

المسيب بن نجية الفزازي

عروة بن مهلهل بن زيد الخيل.

وكان فرسان شرحبيل من أهل اليمن، وأمر أبو عبيدة المرقال بن هاشم أن ينزل الحصن وهو منعزل عن أصحابه.

سار الأمراء السبعة كل أمير لوحده، فى كل يوم يسير أمير مع جيشه وذلك لادخال الرعب فى قلوب العدو، فكان أول من طلع عليهم بالراية خالد بن الوليد،

فلما نزل عليهم كبر:

ـ الله أكبر الله أكبر.

ورفع أصحاب خالد أصواتهم بالتكبير، فلما سمع أهل إيلياء ضجيج أصواتهم انزعجوا وتزعزعت قلوبهم، وصعدوا أسوار البلد ونظروا فوجدوا المسلمين فى قلة من العدد فاستحقروهم واستصغروهم، وظن الروم أن هؤلاء هم جميع المسلمين، **وكان منزل خالد بن الوليد ومن معه مما يلى أريحا**

وأقبل فى اليوم الثانى يزيد بن أبى سقيان، وفى الثالث شرحبيل بن حسنة، وفي الرابع المرقال بن هاشم، وفى الخامس وصل المسيب بن نجية وفى اليوم السادس قيس بن هبيرة، ووصل فى اليوم السابع عروة بن مهلهل بن زيد الخيل مما يلى طريق الرملة.

*** الزحف**

أقامت الجيوش على **بيت المقدس ثلاثة أيام دون مبارزة أو قتال،** ولم ير المسلمون من الروم أحدا، ولا يكلمهم أحد من أهلها إلا أنهم قد حصنوا أسوارهم بالمنجنيق والسيوف والدرق والزرد الفاخر.

فقال المسيب بن نجية:

ـ ما نزلنا ببلد من بلاد الشام فرأينا أكثر زينة ولا أحسن عدة من بيت المقدس، وما نزلنا بقوم إلا وتضعضعوا لنا، وأصابهم الهلع ودخل قلوبهم الرعب إلا أهل بيت المقدس، نزلنا قريبا منهم ثلاثة أيام فلم يكلمنا أحد ولا ينطقون

ولما كان اليوم الرابع قال رجل من أهل البادية لشرحبيل بن حسنة:

ـ أيها الأمير كأن هؤلاء القوم صم لا يسمعون أو بكم لا ينطقون أو عمى لا يبصرون ازحفوا بنا إليهم.

فلما كان اليوم الخامس وقد أدى المسلمون صلاة الفجر كان أول من ركب فرسه من أمراء المسلمين لسؤال أهل بيت المقدس **يزيد بن أبى سفيان،** فشهر سيفه

وأخذ يقترب من سورهم وصحب معه ترجمانا يبلغه عنهم ما يقولون، فوقف يزيد ابن أبى سفيان بازاء سورهم بحيث يسمعون خطابه وهم صامتون، فقال يزيد لترجمانه:

ـ قل لهم أمير العرب يقول لكم: ماذا تقولون فى اجابة الدعوة إلى الإسلام وكلمة الاخلاص وهى: لا إلـه إلا الله محمد رسول الله يغفر لكم ربنا ماسلف من ذنوبكم وتحقنون بها دماءكم، وإن أبيتم ولم تجيبونا فصالحوا عن بلدكم كما صالح غيركم ممن هو أعظم منكم عدة وأشد منكم. وإن أبيتم هاتين حل بكم البوار وكان مصيركم إلى النار.

فتقدم الترجمان إليهم وقال:

ـ إن هذا الأمير يدعوكم إلى إحدى ثلاث: الدخول فى الاسلام أو الجزية أو السيف.

فأجابه أحد القساوسة:

ـ لا نرجع عن دين العز، إن قتلنا أهون علينا من ذلك.

فرجع يزيد بن أبى سفيان إلى أمراء الجيش وأخبرهم بجواب القسيس، ثم قال لهم:

ـ ما انتصاركم بهم؟

قالوا:

ـ إن أبا عبيدة لم يأمرنا بقتال ولا بحرب القوم، ولكن نكتب إلى أمين الأمة ـ أبى عبيدة ـ

فكتب يزيد بن أبى سفيان إلى أبى عبيدة بن الجراح يخبره بما كان من جواب القوم ويسأله:

ـ ما العمل؟

فكتب إليه أبو عبيدة يأمرهم بالزحف، وأنه سيلحق بهم فى إثر هذا الكتاب.

فلما قرأ أمراء الجيش كتاب أبى عبيدة بن الجراح فرحوا واستبشروا وباتوا ينتظرون الصباح، وكل منهم يريد أن يكون الفتح على يديه، ويتمتع بالصلاة فى بيت المقدس والنظر إلى آثار الأنبياء عليهم السلام، فلما ظهر الفجر أذن وصلى الناس صلاة الفجر وقرأ يزيد بن أبى سفيان قوله تعالى﴿ **يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا**﴾ [سورة المائدة: الآية ٢١].

فلما قضيت الصلاة نادوا:

ـ النفير النفير يا خيل الله اركبى.

فكان أول من برز للقتال حمير ورجال اليمن، وبرز المسلمون فى قتالهم كأنهم أسود ضارية، ونظر إليهم أهل بيت المقدس وقد انشرحوا لقتالهم فرشقوا المسلمين بالنشاب فكانت كالجراد فراح المسلمون يتلقونها بدرقهم، وظل القتال بينهم من الصباح إلى الغروب، فلما غربت الشمس تراجع الفريقان كل إلى موضعه، **وصلى المسلمون ما فاتهم فى نهارهم من صلاة.**

*** قدوم أبى عبيدة بن الجراح:**

بات المسلمون ليلتهم فى اصلاح شأنهم وتناول طعامهم وأخذ قسط من الراحة والنوم ولما كان الصباح تقدم رماة النبل وأخذوا يرمون أهل بيت المقدس وهم يذكرون الله ويجأرون إليه بالدعاء، ولم يزل القتال على هذه الحال عدة أيام متوالية، فلما كان اليوم الحادى عشر أقبل أبو عبيدة بن الجراح بجنده ويحمل رايته غلامه سالم، ومن ورائها فرسان المسلمين وقد أحدقوا به من كل جانب، وجاءت النساء والأموال، وضج الناس وارتفعت أصواتهم بالتهليل والتكبير فوقع **الرعب فى قلوب أهل بيت المقدس وجاء البطرق صفر ونيوس وقد علا السور من الجهة التي قدم منها أبو عبيدة بن الجراح فنمادى المسلمين رجل ممن كان مع البطريق صفر ونيوس:**

ـ يا معشر المسلمين كفوا عن القتال نستوضح ونسألكم

فأمسك المسلمون عن القتال، **فناداهم الرجل بلسان عربى فصيح:**

ـ اعلموا أن صفة الرجل الذى يفتح بلدنا ـ بيت المقدس ـ هذا وجميع الأرض عندنا، فإن رأينا هذه الصفة فى أميركم نسلم إليكم ولا نقاتلكم، وإن لم تكن فيه هذه الصفة فلا نسلم إليكم أبدا، وعدنا إلى القتال.

فلما سمع المسلمون ذلك أقبل نفر منهم إلى أبى عبيدة وحدثوه بما سمعوا، فخرج أبو عبيدة إليهم **فنظر البطرق صفرونيوس إليه وقال له:**

ـ ليس هو هذا الرجل

ثم نظر إلى جنوده واستطرد:

ـ ابشروا قاتلوا عن بلدكم ودينكم وحريمكم.

فعادوا إلى القتال من جديد.

وعاد صفرونيوس دون أن يتكلم مع أبى عبيدة بكلمة واحدة

فشد المسلمون على الروم فى حربهم وقتالهم.

وظل القتال على أشده يوما بعد يوم حتى مضت أربعة أشهر كاملة والمسلمون صابرون على البرد الشديد والثلج والمطر.

ولما رأى أهل بيت المقدس شدة حصار المسلمين عليهم قصدوا البطرق **صفرونيوس وبينوا له حالهم وطلبوا** منه أن يتكلم مع المسلمين ويتعرف إلى طلبهم.

فصعد البطرق السور معهم وأشرف على المكان الذي فيه أبو عبيدة بن الجراح ونادى رجل منهم:

ـ يا معشر العرب إن عمدة دين النصرانية وصاحب شريعتها أقبل يتحدث إليكم فليدن منه أميركم.

فأخبروا أبا عبيدة بن الجراح بمقالتهم، فقال أبو عبيدة:

ـ والله إنى لأجيبه إذن.

ثم قام أبو عبيدة وجماعة من الأمراء والأصحاب ومعه الترجمان، فلما وقف أبو عبيدة بن الجراح بازاء البطرق قال لهم الترجمان:

ـ ما الذى تريدونه منا فى هذه البلدة المقدسة؟ ومن قصدها يوشك أن يغضب الله عليه ويهلكه.

فأخبره الترجمان بذلك فقال:

ـ قل لهم نعم إنها بلدة شريفة ومنها أسرى نبينا ﷺ إلى السماء ونحن أحق منكم أو نزال عليها يملكنا الله إياها كما ملكنا غيرها.

قال البطرق:

- فما الذى تريدونه منا؟

قال أبو عبيدة بن الجراح:

ـ خصلة من ثلاث:

أولها: أن تقولوا لا إلــه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، فإن قلتموها كان لكم ما لنا وعليكم ما علينا.

قال البطرق:

ـ إنها كلمة عظيمة ونحن قائلوها إلا أن نبيكم محمدا ما نقول إنه رسول... وهذه خصلة لا نجيبكم إليها، فما الخصلة الثانية؟

قال أبو عبيدة بن الجراح:

ـ تصالحوننا عن بلدكم وتؤدون الجزية إلينا عن يد وأنتم صاغرون، كما أداها غيركم من أهل الشام

قال البطرق:

ـ هذه الخصلة أعظم علينا من الأولى، وما كنا بالذى يقبل الذل والصغار أبدا.

فقال أبو عبيدة:

ـ ما نزال نقاتلكم حتى يظفرنا الله بكم.

قال البطرق:

ـ إننا نجد فى كتبنا أنه يفتح هذه البلدة ـ ايلياء ـ صاحب محمد اسمه: عمر يعرف بالفاروق وهو رجل شديد لا تأخذه فى الله لومة لائم ولسنا نرى من صفته فيكم

فلما سمع أبو عبيدة بن الجراح ذلك تبسم ضاحكا وقال:

ـ فتحنا البلد ورب الكعبة.

ثم أقبل عليه وقال:

ـ إذا رأيت الرجل تعرفه؟

قال البطرق:

ـ نعم وكيف لا أعرفه وصفته عندى وعمره وأيامه؟

قال أبو عبيدة بن الجراح:

ـ هو والله خليفتنا، وصاحب نبينا

قال له البطرق:

ـ إن كان الأمر كما ذكرت فقد علمت صدق قولنا فاحقن الدماء وابعث إلى صاحبك يأت فإذا رأيناه وتبيناه وعرفنا صفته ونعته فتحنا له البلد من غير هم ولا نكد وأعطينا الجزية.

قال أبو عبيدة

ـ فإنى أبعث إليه بأن يقدم إلينا، أتحبون القتال أم نكف عنكم؟

فقال البطرق:

ـ معاشر العرب ألا تدعون بغيكم، أنخبركم بأننا قد صدقناكم فى الكلام طلبالحقن الدماء وأنتم تأبون إلا القتال؟

قال أبو عبيدة بن الجراح :

ـ نعم لأن ذلك أشهي إلينا من الحياة نرجو به العفو والغفران من ربنا.

وأمر أبو عبيدة بن الجراح بالكف عن قتال أهل بيت المقدس، وانصرف البطرق.

*** كتاب أبى عبيدة إلى الفاروق.**

كتب أبو عبيدة بن الجراح إلى أمير المؤمنين عمر كتابا قال فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم.

إلى عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من عامله أبى عبيدة بن الجراح.

أما بعد

السلام عليك فإنى أحمد الله الذى لا إلـه إلا هو وأصلى على نبيه محمد ﷺ.

واعلم يا أمير المؤمنين إنا منازلون لأهل مدينة ايلياء نقاتلهم أربعة أشهر كل يوم نقاتلهم ويقاتلوننا فلما كان اليوم الذى كتبت إليك الكتاب فيه أشرف علينا بطرقهم الذى يعظمونه وقال :

إنهم يجدون فى كتبهم أنه لا يفتح بلدهم إلا صاحب نبينا واسمه عمر، وإنه يعرف صفته ونعته وهو عندهم فى كتبهم، وقد سألنا حقن الدماء، فسر إلينا بنفسك وانجدنا لعل الله يفتح هذه البلدة علينا على يديك.

وختم أبو عبيدة الكتاب وحمله **ميسرة بن مسروق العبسى** ليوصله إلى عمر.

*** أمير المؤمنين عمر يستشير أصحابه**

لما تسلم الفاروق كتاب أبى عبيدة بن الجراح استشار أصحابه فقال عثمان بن عفان.

ـ يا أمير المؤمنين لا تذهب إلى الشام، وإنى أرى استمرار القتال.

وقال على بن أبى طالب:

ـ يا أمير المؤمنين اذهب على اليمن والبركة.

فأخذ عمر بن الخطاب بمشورة أبى الحسن، وأمر المسلمين بالسير معه، وأتى الفاروق مسجد رسول الله ﷺ فصلى فيه أربع ركعات ثم قام إلى قبر رسول الله ﷺ فسلم عليه وعلى أبى بكر، وجعل أمير المؤمنين عمر أبا الحسن خليفة له على المدينة المنورة.

وخرج الفاروق منها وأهلها يودعونه، وقد ركب بعيرا له أحمر اللون، وعلى ظهر البعير جرابان فى أحدهما سويق، والآخر فيه تمر وبين يديه ـ أمامه ـ قربة فيها ماء وخلفه كيس فيه زاد.

وسار الفاروق قاصدا بيت المقدس، فكان إذا نزل منزلا لا يغادره حتى يصلى الصبح، فاذا انتهى من صلاته التفت إلى المسلمين وقال:

ـ الحمد لله الذى أعزنا بالإسلام وأكرمنا بالإيمان وخصنا بنبيه عليه الصلاة والسلام، وهدانا من الضلالة، وجعلنا بعد الشتات على كلمة التقوى، وألف بين قلوبنا، ونصرنا على عدونا، ومكن لنا فى بلادنا، وجعلنا اخوانا متحابين، فاحمدوا الله عباد الله على هذه النعمة السابغة والمنن الظاهرة، فان الله يزيد المستزيدين الراغبين فيما لديه ويتم نعمته على الشاكرين.

*** قدوم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى الشام**

لما علم أبو عبيدة بن الجراح بمجيء الفاروق سار فى جمع من الناس فيهم المهاجرين والأنصار حتى أقبل بمن معه على أمير المؤمنين عمر، فنظرا الفاروق إلى أبى عبيدة وهو لابس سلاحه متنكب قوسه راكب بعيره مغطى بعباءة قطوانية ـ منسوجة من الحرير والقطن ـ، فلما رأى أبو عبيدة عمر أناخ كل منهما بعيره ونزلا عنهما وترجل كل منهما نحو الآخر، **وقد قدم أبو عبيدة يده فصافح الفاروق، وتعانق جميعا وسلما على بعضهما**

وأقبل المسلمون يسلمون على أمير المؤمنين عمر، ثم ركبا جميعا وسارا أمام الناس وهما يتحدثان حتى وصلا بيت المقدس، فلما نزلا صلى الفاروق بالمسلمين صلاة الفجر.

*** تواضع ابن الخطاب وتقشفه**

ركب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعيره وكان يرتدى عباءة فيها أربع عشرة رقعة، بعض هذه الرقاع من جلد فقال له بعض المسلمين:

ـ يا أمير المؤمنين لو ركبت جواداً بدل بعيرك،ولبستَ ثيابا بيضا غير هذه المرقعة

فرضى الفاروق ولبس الثياب البيض، يقول الزبير بن العوام:

ـ أحسب أنها كانت من ثياب مصر تساوى فى قيمتها خمسة عشر درهما

ووضع أمير المؤمنين عمر على عاتقه منديلا من كتان ـ ليس بالجديد ولا بالخلق ـ وقدم إليه برذون ـ البرذون: الحمار ـ أشهب اللون من براذين الروم، فلما ركبه الفاروق وصار عليه فجعل يتجلجل به، يهملج به ـ يتبختر ـ فلما نظر عمر إلى البرذون وما يفعل، نزل عنه مسرعا وقال:

ـ أقيلوا عثرتى أقال الله عثرتكم يوم القيامة فقد كاد أميركم أن يهلك بما دخل قلبه من العجب والكبر، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول:

ـ لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من الكبر (رواه مسلم عن ابن مسعود)

ثم ضرب الفاروق وجه البرذون وقال:

ـ لا أعلم من علمك هذا الخيلاء

ثم قال أمير المؤمنين عمر:

ـ ولقد كاد أن يهلكنى ثوبكم الأبيض وبرذونكم المهملج

ثم نزع الفاروق ما كان عليه من الثياب البيضاء، وعاد ولبس ثيابه المرقعة،

وسار يريد العقبة ليخرج منها إلى بيت المقدس

ولقى أمير المؤمنين عمر جماعة من المسلمين عليهم ثياب من الديباج فأمر الفاروق أن يحثوا التراب فى وجوههم وأن تمزق عليهم ثيابهم، ولم يزل أمير المؤمنين عمر على هذه الحال حتى أشرف على بيت المقدس، فلما وقع نظره عليها قال:

ـ الله أكبر اللهم افتح لنا فتحا يسيراً واجعل لنا من لدنك سلطانا نصيرا

ثم سار، استقبلته العشائر والقبائل وأصحاب العقود حتى نزل بالموضع الذى كان فيه أبو عبيدة بن الجراح، وأقيمت له خيمة من الشعر وجلس فيها على التراب ثم قام يصلى أربع ركعات.

*** خروج عمر بن الخطاب إلى البطرق**

لما وصل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بيت المقدس علت أصوات المسلمين بالتهليل والتكبير حتى أحدثوا ضجة سمعها أهل بيت المقدس

فقال البطرق:

ـ ما سر هذه الضجة؟

فقيل له:

ـ إن أمير المؤمنين عمر قد قدم من المدينة ووصل بيت المقدس

فلما كان صباح اليوم التالى صلى الفاروق بالناس صلاة الفجر وقال لأبى عبيدة:

ـ يا عامر تقدم القوم واعلمهم أنى قد أتيت

فخرج أبو عبيدة عامر بن الجراح ونادى فيهم قائلا:

ـ يا أهل هذه البلدة إن صاحبنا أمير المؤمنين قد ورد فما تصنعون فيما قلتم؟

فخرج البطرق من كنيسته فى جمع غفير ومحفل رهيب وصعد على السور

وأشرف على أبى عبيدة، فقال له عامر بن الجراح:

ـ هذا أمير المؤمنين عمر وليس عليه أمير قد أتى

فطلب البطرق أن يراه

فهم الفاروق بالقيام، فقال له أصحابه:

ـ يا أمير المؤمنين أتخرج منفردا وليس عليك آلة حرب غير هذه المرقعة؟ وإنا نخشى عليك غدرا ومكرا منهم فينالون منك.

فقال ابن الخطاب:

ـ ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾سورة التوبة الآية: ٥١

*** صاحب محمد بن عبدالله ﷺ**

قدم لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعيره فركبه وعليه عباءته المرقعة ـ هذا من تواضعه رضى الله عنه **فى حين أنه قادر على أن يلبس أفخر الثياب وأحسنه** وأن يركب أفضل أنواع الخيل **وأن يزين بأبهى ما تكون عليه الزينة** لكنه لم يفعل فقد جعل إمام الخير ﷺ الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة ـ ليس عليه غيرها، وقد **وضع على رأسه قطعة من عباءة قطوانية، وقد عصب بها رأسه، وليس معه غير أبى عبيدة بن الجراح وهو يسير بين يديه حتى إذا اقترب الفاروق من السور ووقف بازائه نظر إليه البطرق فعرفه وقال لأهل بيت المقدس:**

ـ اعقدوا معه الأمان والذمة، هذا والله صاحب محمد بن عبدالله ـ ﷺ ـ ففتحوا الباب وخرجوا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يسألونه العهد والميثاق والذمة

فلما رأى الفاروق ذلك تواضع للعزيز الحكيم وخر ساجدا على قتب بعيره ـ رحل بعيره على قدر سنامه ـ ثم نزل إليهم وقال:

ـ ارجعوا إلى بلادكم ولكم الذمة والعهد إذا سألتمونا وأقررتم بالجزية

فرجع القوم إلى بلدهم دون أن يغلقوا أبوابها

كما رجع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى عسكره فبات فيهم ليلته

*** عمر بن الخطاب فى بيت القدس**

ولما دخل أمير المؤنين عمر بن الخطاب بيت المقدس قال:

ـ **لبيك، اللهم لبيك** (رواه ابن راهويه والبيهقى عن عباد بن عبدالله بن الزبير)

لما كان فجر اليوم التالى دخل الفاروق بيت المقدس بلا خوف ولا فزع، وكان هذا اليوم الاثنين وأقام بايلياء صلاة الجمعة، وخط به محرابا من جهة الشرق ـ وهو موضع مسجده، فتقدم وصلى هو وأصحابه صلاة الجمعة، ولم يلمس المسلمون شيئا من متاعهم وأموالهم

وأقام الفاروق ببيت المقدس عشرة أيام

وارتحل عائدا إلى المدينة رسول الله ﷺ بعد أن كتب لأهله عهدا وأقرهم فى بلدهم على الجزية، وسار بمن معه فى العساكر إلى الجابية فأقام بها فترة من الزمن، وقسم الشام إلى قسمين فأعطى أبا عبيدة بن الجراح من حوران إلى حلب وما يليها، وأمره أن يسير إلى حلب وأن يقاتل أهلها إلى أن يفتحها الله على يديه.

وأعطى أرض فلسطين والقدس والساحل ليزيد بن أبى سفيان.

وجعل أبا عبيدة بن الجراح ولياعليه

*** عهد أهل بين المقدس**

هذه مقاطع من عهد الفاروق لأهل بيت المقدس

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم

إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقض منها، ولا من خيرها، ولا يضار

منهم، وعلى ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم . . فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه ما على أهل ايلياء من الجزية، ومن أحب من أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم - كنائسهم - وصلبهم فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم

حتى ختم الكتاب. . . وقال:

شهد على ذلك: خالد بن الوليد، عمرو بن العاص، عبد الرحمن بن عوف، معاوية بن أبى سفيان.

وكتب وحضر سنة خمسة عشر من الهجرة

وسأل الفاروق كعب الأحبار:

- أين ترى أن أصلى؟

قال كعب الأخبار:

- إن أخذت عنى صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك - أمامك -

فقال أمير المؤمنين عمر:

- ضاهيت اليهودية، لا، ولكن أصلى حيث صلى النبى ﷺ

وتقدم إلى القبلة فصلى، ثم جاء فبسط رداءه فكنس الكناسة فى ردائه، كنس الناس (رواه الإمام أحمد، الضياء المقدسى فى المختارة عن عبيد بن آدم)

***

فتح مصر

*** حال مصر فى عهد الرومان**

كانت مصر على وجه العموم تعانى أشد أنواع الفقر، فحاصلاتها الزراعية ومنتجاتها الصناعية كانت ترسل منها إلى مدن الامبراطورية الرومانية، وذلك ليحصل الولاة فيها على الرضا التام من الحاكم الأعلى للدولة ألا وهو: الامبراطور، حيث يبقى أهل مصر محرومين من هذه الخيرات وتلك الغلات.

وكان أهل مصر على أتم الاستعداد للقيام بتمرد أو ثورة ضد حكام البلاد من الروم الذين يفرضون الإتاوات والضرائب، ويفرضون عليهم اتباع مذهب دينى معين، ولم يعد فى وسع أهل مصر احتمال الحكم البيزنطى.

وأخيرا حدث فى قلب الدولة الرومانية انقسامات وتشعبات داخلية حيث انقسموا على انفسهم فصاروا طوائف متعددة، وأحزابا مختلفة

*** عمرو بن العاص يستأذن الفاروق فى فتح مصر**

كان أبو عبدالله يسافر إلى مصر للتجارة قبل الإسلام، فهو على علم بأهلها وما عليهم من فقر وضعف، كما كان يعرف مصادر الرزق فيها وحاصلاتها الزراعية

فلما قدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى الشام لفتح بيت المقدس، جاءه عمرو بن العاص وقال له:

ـ يا أمير المؤمنين ائذن لى أن أسير إلى مصر فانا إن فتحناها كانت غلاتها وأموالها قوة للمسلمين وعونا لهم، فان أرض مصر أكثر الأراضى أموالا وأهلها أعجز الناس عن القتال والحرب

سمع الفاروق قول عمرو فتخوف من ذلك وقال:

ـ هذا تغرير بالمسلمين

لأن أقدامهم لم تكن قد رسخت فى البلاد التى فتحوها، كما كانت جيوشهم موزعة هنا وهناك فى الشام والعراق وأرمنيا وغيرها، **وأضف إلى هذا موت العديد**

كان تردد الفاروق إشفاقا على المسلمين أن يورطهم فى حرب ضروس أخرى وهم لم تندمل جراحهم من حروب الشام

ولكن عمرو بن العاص **كان قوى الحجة رائع البيان** فذكر لأمير المؤمنين أن **أرطبون ـ ملك وداهية ـ الروم قد فر إلى مصر لما أيقن اتجاه أهل بيت المقدس إلى مصالحة المسلمين، ولا بد أن أنه يعمل على تجييش الجيوش بها لمعاودة حرب العرب، والمصلحة تقتضى بداهمة مصر حتى لا يتسع وقت الروم للحشد والتعبئة**

وسأل عمرو أمير المؤمنين عمر:

ـ ألم تسمع حديث رسول الله ﷺ الذى يقول: **إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيرا؟**

قال الفاروق:

ـ نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: **إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيرا فذلك الجند خير أجناد الأرض**

فقال أبو بكر:

ـ ولم يا رسول الله؟

قال عليه الصلاة والسلام:

ـ **لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة** (رواه ابن عبدالحكم فى فتح مصر، وابن عساكر عن عمر)

ومضى أبو عبدالله يهون أمر فتح مصر لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ويحرضه على فتح مصر، واقترح أن يسير إلى مصر فى أربعة آلاف مجاهد فقط، فأذن له واستجاب لطلبه وأنهى إليه:

أنه سيرسل إليه أثناء سيره إلى مصر رسالة برأيه الأخير

*** مسير عمرو بن العاص إلى مصر**

استوثق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من قول أبى عبدالله وعقد له أربعة

آلاف ـ

وقيل: خمسة آلاف رجل وقال له:

ـ سروأنا مستخير الله فى مسيرك وسيأتيك كتابى سريعا إن شاء الله تعالى، فان أدركك كتابى آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئا من أرضها فعليك بالانصراف والرجوع عنها وإن دخلتها قبل أن يأتيك كتابى فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره

فسار عمرو بن العاص فى جوف الليل ولم يشعر به أحد من المسلمين

واستشار الفاروق كبار الصحابة فى الأمر فاستعظم عثمان بن عفان الأمر **وذكر ذو النورين أن فى عمرو بن العاص جرأة وتهورا**

فعاد أمير المؤمنين عمر إلى تردده واشفاقه على المسلمين، ولكنه خشى أن لا تبلغ رسالته إلى عمرو بن العاص إلا بعد أن يكون قد دخل مصر فيحدث رجوعه فى المدينة أثرا بالغا فى سمعة العرب والإسلام، فتوسط الأمر وكتب إلى أبى عبدالله كتابا يقول فيه:

إذا بلغتك رسالتى قبل دخولك مصر فارجع، وإلا فسر على بركة الله

*** عمو بن العاص الفطن**

جاء رسول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عمرو بن العاص وهو عند رفح، ففطن أبو عبدالله إلى ما تحتويه رسالة الفاروق من **وقف مسير الجيش، فاستعان عمرو بن العاص بدهائه فلم يأخذ الرسالة من الرسول حتى بلغ العريش**

وحينئذ استدعى رسول أمير المؤمنين وأخذ كتابه ففضه وقرأ ما فيه ثم سأل أصحابه:

ـ أنحن الآن فى مصر أم فى فلسطين؟

فقالوا:

ـ نحن فى مصر

قال عمرو بن العاص:

- إذن نسير فى سبيلنا كما أمرنا أمير المؤمنين

وفتح عمرو العريش بدون عناء فقد كانت حصونها غير منيعة وكانت حاميتها قليلة

فتح الفرما

كانت مدينة الفرما أول مدينة اشتبك فيها المسلمون مع الروم، وكانت محصنة فحاصرها عمرو بن العاص شهرا، ثم افتتحها المسلمون عنوة، وقتلوا وأسروا من الروم خلقا كثيرا، وولى الباقون الأدبار

وقد روى المقريزى وأبو المحاسن أن قبط الفرما ساعدوا المسلمين على الروم فى هذه المعركة

فتح بلبيس

بعد أن فتح الله الفرما سار عمرو بن العاص إلى سنهور وتنيس ثم إلى بلبيس وكانت مدينة حصينة وقد حشد فيها الروم جيشا كثيفا تحت قيادة أرطبون الروم الذى كان قائدا لبيت المقدس

وأرسل عمرو بن العاص إلى قائد الجيش يخيره بين الإسلام أو دفع الجزية أو المناجزة، وأمهله أربعة أيام ليبعث برده، ولكن داهية الروم اختار الغدر والخيانة على الإستقامه والسلامة، ففى اليوم الثانى من المهلة بيت المسلمين بجيشه، ولكن العزيز المتين نصر جنده عليه نصرا مبينا فقتلوا من جيشه ألفا وأسروا ثلاثة آلاف من بينهم **ابنة المقوقس** - جريج بن ميناء الذى كان يحكم مصر من قبل هرقل - فأرسلها عمرو بن العاص إلى أبيها معززة مكرمة فوقع عمل أبى عبدالله هذا لدى المقوقس موقعا حسنا

وظلت مدينة بلبيس تحت حصار المسلمين وهى تقاوم شهرا حتى افتتحها المسلمون وقد خسر الروم فيها خسارة فادحة

*** موقعة عين شمس**

بعث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مددا أكثر من ثمانية آلاف مجاهد فقويت

شوكة المسلمين فنزل عمرو بن العاص بجيشه عين شمس وكان هدف داهية العرب أن يجر الروم بعيدا عن حصونهم إلى العراء، وقسم أبو عبدالله جيشه إلى ثلاثة أقسام:

قسم عسكر بعين شمس تحت قيادته

وقسم بأم دنين

وقسم بالتلال الواقعة جهة القلعة تحت قيادة خارجة بن حذافة

وبذلك انحصر الجيش الرومانى **بين قوتين من جيش المسلمين** ـ وهذه الخطة لم يكن يعرفها الجيش الرومانى ـ وذلك للإطباق عليه عند صدور الأمر بذلك

وكان جيش الروم يزيد عن عشرين ألف رجل وكان تحت قيادة تيودور، وكان على الفرسان تيودسيوس وأنا ستاسيوس، وسار تيودور بجيشه من الفرسان والمشاة فى اتجاه جيش المسلمين

والتقى الجيشان فى منطقة العباسية فى منتصف المسافة بين عين شمس وأم دنين فاقتتلا قتالا شديدا وكل من الجيشين يريد حسم المعركة لصالحه

وبينما كانت رحى الحرب دائرة على أشدها باغتت الفرقة الثالثة للمسلمين التى يقودها خارجة بن حذافة والتى كانت كامنة وراء التلال فانقضت على مؤخرة الجيش الرومانى كالصاعقة **فأصبح العدو بين قوتين كفكى كماشة** فاختلت صفوف الجيش الرومانى **وركبه الاضطراب والفزع وأسرع بالهرب نحو أم دنين فلقيه جيش المسلمين الذى كان يعسكر فيها فكانت المباغتة أشد وأقوى،** فالتجأ بعض الروم إلى الحصن بطريق البر وفر بعضهم الآخر بقوارب إلى حصن بابليون وقتل أكثرهم، **واستولى المسلمون على أم دنين مرة أخرى وقتلوا حاميتها عن آخرها** إلا ثلاثمائة منهم تمكنوا من الفرار إلى حصن بابليون

*** من عين شمس إلى الفسطاط**

فر بعض جنود أم دنين فى قوارب حتى وصلوا نقيوس ـ قرية بين الفسطاط والاسكندرية ـ فاستولى المسلمون على ضفاف النهر شمالى الحصن وجنوبه،

ونقلوا معسكوهم من عين شمس إلى الفسطاط.

ولما وصل خبر انتصار المسلمين إلى الروم أخلى جيشهم الفيوم ليلا وساروا إلى أبواط، ومن هناك فروا إلى كريون بالقوارب من غير أن يخبروا أهل أبواط بأنهم أخلوا الفيوم للعدو ـ المسلمين ـ

ولما علم أبو عبدالله بذلك أرسل جيشا فعبر النيل واحتل الفيوم وأبواط

وقد استمرت موقعة عين شمس حتى فتحت الفيوم **خمسة عشر يوما**

وكان ذلك سنة تسع عشر من الهجرة

*** فتح حصن بابليون**

وجلس المقوقس حاكم مصر من قبل هرقل وبطريركها الرومانى الأكبر قائد جيوشه تيودور فى حصن بابليون ـ يسمى قصر الشمع: لأنه يوقد فيه الشمع فى كل رأس شهر، وذلك أنه إذا دخلت الشمس فى برج من البروج أوقد ليلتها الشمع على رأس ذلك القصر، فيعلم الناس بذلك أن الشمس انتقلت من البرج الذى كانت فيه إلى برج آخر، وكان هذا الحصن أو القصر أمام مدينة منف التى كانت مقرا للموقس على شاطئ النيل أمام جزيرة الروضة وهى جزيرة يحيط بها ماء النيل، وكانت حصينة مستحكمة لقربها من العاصمة، وقد تحصن بها الروم وأقاموا بها مدة طويلة ـ ومعهما صفوة الجيش الرومانى

ووقف عمرو بن العاص وجيشه أمام الحصن محاصرين إياه، ودام الحصار سبعة أشهر، وأرسل المقوقس خلال ذلك رسله إلى أبى عبدالله للمصالحة فاستجاب عمرو بن العاص على الشروط: الإسلام أو الجزية أو الحرب فاختار المقوقس الجزية

وكتب المقوقس إلى هرقل يستأذنه فى ذلك، فلم يقبل منه بل حنق عليه ولامه لو ما شديدا واستدعاه إلى القسطيطينية ثم نفاه.

وكتب عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كتابا يخبره فيه بأن الله عز وجل أنعم عليه بالفتح وأنه دخل بلاد مصر حتى وصل الفيوم وأبواط، وطلب فى كتابه المدد لأنه يعلم أن جيشه الذى معه لا يكفيه

فأمده الفاروق بأربعة آلاف رجل على كل ألف منهم رجل مقام ألف: الزبير

ابن العوام، المقداد بن عمرو، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد

وقال أمير المؤمنين عمر فى كتابه لأبى عبدالله:

ـ واعلم أن معك اثنى عشر ألفا ولن تغلب اثنتا عشر ألفا عن قلة

ولما أبطأ فتح حصن بابليون قال الزبير بن العوام:

ـ إنى أهب نفسى لله وأرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين

وراح أبو عبدالله يحاصر حصن بابليون ثم تسوروا الحصن فى الليل واشتبكوا مع الجنود فى قتال عنيف **وكان أول من تسور الحصن الزبير بن العوام** فوضع سلما من ناحية سوق الحمام ثم صعد وأمر المسلمين إذا سمعوا تكبيره أن يقتحموا الحصن، **فما شعروا إلا والزبير بن العوام على رأس الحصن يكبر ومعه السيف**، فكبر تكبيرة فأجابه المسلمون من خارج الحصن، ولم يشك أهل الحصن أن المسلمين قد اقتحموا جميعا الحصن فهربوا، فعمد حوارى رسول الله ﷺ بأصحابه إلى باب حصن بابليون ففتحوه، واقتحم المسلمون الحصن ففتحه المسلمون عنوة.

ولكن عمرو بن العاص أمضى الصلح على أن يخرج جند الروم من الحصن فى ثلاثة أيام، فينزلوا النيل ويحملوا ما يلزمهم من القوت لبضعة أيام، أما حصن بابليون وما فيه من الذخائر وآلات الحرب فتبقى غنيمة للمسلمين

ثم خرب أبو عبدالله أبراج الحصن وأسواره

* * *

فتح الاسكندرية

*** مسير عمرو بن العاص إلى الاسكندرية**

أمر أبو عبدالله جيشه بالزحف تجاه الاسكندرية وقصد من ذلك أن يسير إلى نقيوس ـ مدينة على فرع رشيد ولها شهرة تاريخية منذ زمن الفراعنة ـ وهى مدينة لها أهميتها من الوجهة الحربية

وقد أراد عمرو بن العاص بالمسير بجيشه من جهة الفرع الغربى للنيل أو الصحراء لكى لا يكون فى طريق الفرسان من جيشه أى عائق يمنعهم من التقدم، ولأن الفرع الشرقى للنيل ملئ ومتشابك بالترع فى الدلتا.

وكان القائد الرومانى تيودور قد وضع جيشه الذى كان فى نقيوس تحت امرة دومنتيانوس الذى كان يملك اسطولا كبيرا من القوارب أعدها للدفاع عن هذا البلد

فلما اقترب المسلمون منه فر هذا القائد ـ يقال إنه كان ضعيفا جبانا ـ بقارب إلى الاسكندرية من شدة الخوف، فلما رأت الحامية خيانة القائد دومنتيانوس ألقى جنود نقيوس السلاح واندفعوا إلى النهر وقد ملأ قلوبهم الرعب والفزع لعبورها والوصول إلى القوارب، لا يفكر الواحد منهم إلا فى النجاة بنفسه والهرب إلى بلده

وفى هذه الأثناء لم يكن للمسلمين بد من اعمال السيف فيهم بين قتيل وجريح، **ودخل المسلمون نقيوس بدون مقاومة تذكر**

ومكث أبو عبدالله فى نقيوس عدة أيام .

*** مسير عمرو بن العاص إلى الدلنجات**

أرسل أبو عبدالله قوة من المسلمين من نقيوس فى أثر الروم بقيادة شريك بن سُمىًّ، وذلك قبل مسيره إلى الاسكندرية، ثم سار عمرو بن العاص بجيشه حتى وصل إلى الدلنجات، وبعدها اتجه بجنده نحو الشمال تجاه دمنهور فالتقى

بالروم فى سُلْطَيْس على ستة أميال جنوبى دمنهور

حمل جيش المسلمين على جيش الروم حملة رجل واحد فاقتتلوا معا قتالا مريرا لاز الروم أخيرا بالفرار **وتم لأبى عبدالله الاستيلاء على دمنهور دون عناء**

*** الاستيلاء على كريون**

التقى جيش المسلمين وجند الروم بكريون واقتتلوا قتالا شديدا مدة لا تزيد عن عشرة أيام، وكان عبدالله بن عمرو بن العاص فى مقدمة جيش المسلمين فى هذه الموقعة، وكان ورْدَان مولى عمرو بن العاص يحمل لواءهم، وأصابت عبدالله ابن عمرو جراحات كثيرة

وكانت كريون آخر سلسلة الحصون بين حصن بابليون والاسكندرية، وكان الروم قد حصنوها لكنها كانت أقل شأنا ومناعة من حصن بابليون ونقيوس، إلا أن موقعتها **كانت من أصعب ما لقيه المسلمون من حروب،** لأن الجيش الرومانى **قد وصل إليه المدد من القسطنطينية وتولى قيادة جيشهم تيودور بنفسه، وصلى عمرو بن العاص بالمسلمين صلاة الخوف**

وظفر المسلمون بالفتح واستولى أبو عبدالله على البلد والحصن وطرد الروم من كريون بعد أن قتل من المسلمين والروم عدد كبير

*** الطريق الى الاسكندرية**

بعد أن استولى المسلمون على كريون صارا الطريق إلى الاسكندرية سهلا، فطلب عمرو بن العاص من جنوده أن يستكينوا للراحة ليخفف عن نفسه قليلا مما عناه فى موقعة كريون

ثم تجهز أبو عبدالله للسير إلى الاسكندرية، فتقدم إليها من جهة الجنوب الشرقى **وكان فى الاسكندرية حامية للروم لا يقل عددها عن خميسن ألفا،** كما كانت أسوارها منيعة، وللروم اسطول بحرى من عدة سفن، ولم يكن للعرب فيه سفينة واحدة، ولم يكن معهم معدات حربية يستطيعون بها هدم سور واحد من أسوار الاسكندرية المنيعة، **ولكن أقباط مصر ساعدوا المسلمين فى جلب المؤن ولم**

ينضموا إليهم فى حرب الروم

ونشب القتال بين المسلمين والروم واقتحم المسلمون حصن الاسكندرية وصار القتال داخل الحصن على أشده، وحمل الروم على المسلمين حملة قوية فأخرجوهم من الحصن

*** عمرو فى قبضة الروم**

ولم يبق فى الحصن إلا أربعة نفر تفرقوا فى الحصن وأغلقوا عليهم باب الحصن أحدهم عمرو بن العص والثانى مسلمة بن مخلد، وحال الروم بينهم وبين أن يخرجوا إلى المسلمين، ولا يدرى الروم من هم بأسمائهم أو مكانتهم فى المسلمين؟

ولما رأى داهية العرب وأصحابه ذلك التجؤوا إلى ديماس من حماماتهم فدخلوا فيه ومنعوا أنفسهم فأمروا أحد الروم أن يكلمهم بالعربية فقال لهم:

ـ إنكم صرتم فى أيدينا أسارى فاستسلموا ولا تعرضوا أنفسكم للقتل.

فأبى عمر بن العاص ومن معه، ثم قال لهم الرومى.

ـ إن لدى أصحابكم وفى أيديهم أسارى منا ونعطيكم العهد والميثاق أن نفادى بكم أصحابنا ولا نقتلكم .

فأبى أبو عبد الله عليه طلبه، فلما رأى الرومى تعنتهم قال لهم:

ـ هل لكم إلى خصلة فيها القول الفصل والحل المناسب؟

قالوا له:

ـ وما هو؟

قال الرومى:

ـ المبارزة بين رجل منا ورجل منكم فإن غلب صاحبنا رجلا منكم استأسرتم لنا وأمكنتمونا من أنفسكم، وإن غلب صاحبكم رجلا منا خلينا سبيلكم إلى أصحابكم.

فرضى الطرفان بذلك وتعاهدوا عليه.

وفى صباح اليوم الثانى خرج من الروم رجل وثقت الروم بقوته وشدته وقالوا:

ـ ليبرز رجل منكم لصاحبنا.

فأراد أبو عبد الله أن يخرج إليه ولكن مسلمة بن خالد أبى وقال له:

ـ أنت الأمير وقوام جيشك بك وقلوبهم معلقة نحوك وبك، فإن قتلت كان ذلك بلاغا علينا جميعا، فعليك مكانك ابق فيه، وأنا أكفيك إن شاء الله .

فقال عمرو بن العاص:

ـ دونك فربما فرجها الله بك.

فبرز مسلمة للرومى فتجاولا معا وتصاولا ساعة من الزمن ثم نصر الله عبده فقتل الرومى فكبر مسلمة وأصحابه

ووفى الروم لهم بعهدهم ففتحوا لهم باب الحصن فخرجوا، ولا يدرى الروم من هم وما هى منزلتهم؟

ولو كان الروم يدرون أنه قائد الجيش عمرو بن العاص لتغير موقفهم وكان غير الذى كان، ولما خبر الروم بعد ذلك بأن أحد الذين حبسوا فى الحصن عمرو بن العاص ندموا فى وقت لا ينفعهم الندم وفات عليهم الهدف وأسفوا على فعلتهم أشد الأسف وأقسى أنواع الحزن

وفتح الله الإسكندرية على يد أبى عبد الله.

*** معاوية البشير**

أرسل أبو عبد الله محرر مصر من الرومان معاوية بن خديج إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب **ليكون بشيرا للفاروق بالفتح المبين والنصر العظيم** فقال له معاوية:

ـ يا أبا عبد الله ألا تكتب معى؟

فقال عمر بن العاص:

ـ وما أصنع بالكتاب؟ ألست رجلا عربيا تبلغ الرسالة وقد رأيت وحضرت؟

فقدم معاوية بن خديج مدينة رسول الله ﷺ فى الظهيرة فأناخ راحلته بباب المسجد، فبينما هو قاعد فيه إذ خرجت جاريةمن منزل أمير المؤمنين عمر فرأته شاحب اللون وعليه ثياب السفر فأتته وسألته:

ـ من أنت؟

فقال رسول أبى عبد الله :

ـ أنا معاوية بن خديج رسول عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين عمر.

فانصرفت عنه، ثم أقبلت تشد فى مسيرها حتى سمع حفيف إزارها على ساقها حتى دنت منه ثم قالت:

ـ قم أجب أمير المؤمنين يدعوك .

فتبعها معاوية بن خديج، فلما دخل فإذا هو بعمر يتناول رداءه باحدى يديه ويشد إزاره بالأخرى وقال:

ـ ما عندك؟

قال معاوية بن خديج:

ـ يا أمير المؤمنين فتح الله الاسكندرية .

فخرج الفاروق مع معاوية بن خديج إلى المسجد وقال للمؤذن:

ـ أذن فى الناس الصلاة جامعة.

فاجتمع المسلمون، ثم قال أمير المؤمنين عمر لمعاوية بن خديج:

ـ قم فأخبر أصحابك .

فقام معاوية بن خديج فأخبرهم بفتح الاسكندرية.

ثم صلى الفاروق ودخل منزله واستقبل القبلة فدعا بدعوات ثم جلس فقال:

ـ يا جارية هل من طعام؟

فأتت بخبز وزيت فقال أمير المؤمنين عمر لمعاوية بن خديج:

ـ كل

فأكل معاوية بن خديج حياء، ثم قال الفاروق:

ـ المسافر يحب الطعام فلو كنت آكلا لأكلت معك

يقول معاوية بن خديج:

ـ فأكلت على حياء

ثم قال أمير المؤمنين عمر:

ـ يا جارية هل من تمر؟

فأتت الجارية بتمر فى طبق، فقال الفاروق:

ـ كل

فأكل معاوية بن خديج على حياء، ثم عاد أمير المؤمنين عمر يتساءل:

ـ ماذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد؟

قال معاوية بن خديج:

ـ قلت: أمير المؤمنين قائل ـ نام وسط النهار فهو قائل ـ

قال الفاروق:

ـ بئس ما قلت أو بئس ما ظننت لئن نمت النهار لأضيعن الرعية ولئن نمت الليل لأضيعن نفسى، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية؟

*** عمرو بن العاص يريد أن يتخذ الاسكندرية مقرا لملكه.**

أراد أبو عبد الله أن يتخذ الاسكندرية مقرا لملكه، **ولكن الفاروق لم يرض بذلك وكتب إليه**

لا تنزل بالمسلمين منزلا يحول بينى وبينهم فيه نهر ولا بحر.

فقال عمر بن العاص لأصحابه:

ـ أين ننزل ؟

فقالوا:

ـ نرجع أيها الأمير إلى فسطاطك.

فرجعوا إلى الفسطاط الذى اتخذه أبو عبد الله وبناه هناك .

ثم كتب عمرو بن العاص إلى الفاروق:

أما بعد

فإنى فتحت مدينة لا أصف ما فيها غير أنى أصبت أربعة آلاف حَمَّامٍ وأربعين ألف يهودى عليهم الجزية.

فتح دمياط

أرسل أبو عبد الله الصحابى الجليل المقداد بن الأسود فى جماعة من المسلمين لمحاربة الهاموك ـ رجل من أخوال المقوقس ـ الذى جمع جموعه فى دمياط لمحاربة المسلمين.

فالتقى الجمعان وقتل فى هذه المعركة ابن الهاموك، فاستشار أصحابه فأشار عليه بعض حكمائه أن يعقد مع المسلمين صلحا فغضب منه الهاموك ـ ويقال أنه قتله ـ

وكان للهاموك ابن عاق يدعى شطا ـ كان يسكن فى دار ملاصقة لسور المدينة ـ فخرج ليلا ودل المسلمين على عورات البلد. فاستولى المسلمون عليها، وتمكنوا منها.

وبرز الهاموك للحرب فلم يشعر إلا بالمسلمين وهم يكبرون على سور المدينة، فعندما رأى شطا بن الهاموك المسلمين وقد علوا سور دمياط لحق بهم ومعه عدد من أصحابه.

ولما رأى الهاموك ما فعله ابنه شطا ضعفت قواه عن المقاومة وطلب الأمان من المقداد بن عمرو وتسلم المسلمون دمياط.

واستخلف المقداد عليها وأرسل بخبر فتح دمياط إلى أبى عبد الله.

وخرج شطا ـ كان قد أعلن إسلامه ـ إلى البرلس والدميرة وأشمون فحشد أهل تلك النواحى وقدم بهم مددا للمسلمين، وسار بهم لفتح تنيس وقاتل أهلها **قتالا شديدا حتى مات شهيدا فحملت جثته ودفن فى خارج دمياط.**

فتح بلاد فارس

فتح الأهواز

*** أسباب الفتح**

أراد العلاء بن الحضرمى - صحابى جليل ولاه خاتم الأنبياء ﷺ ولاية البحرين ولما انتقل السراج المنير ﷺ إلى الرفيق الأعلى وهو عليها، فأقره الخليفة الأول أيام خلافته، ثم أقره عليها الفاروق - واشتهر ابن الحضرمى بحروبه العسكريه أيام حرب الردة - أن يقوم بعمل عسكرى **يبارى فيه وينافس** الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص وخاصة بعد انتصاراته العظيمة بالقادسية، فاستشار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن يفتحوا جزءا من بلاد فارس عن طريق البحرين **فنهاه الفاروق** عن ذلك لشدة حذره وخوفه على المسلمين، **ولم يقدر العلاء بن الحضرمى الطاعة والمعصية وعواقبهما**، فندب أهل البحرين لحرب الفرس، فتسارعوا إليه واجتمعوا عليه **فوزعهم على مجموعات ثم حملهم فى البحر إلى بلاد فارس بغير إذن أمير المؤمنين عمر، وكان الفاروق لا يأذن لأحد فى ركوب البحر غازيا فعبرت تلك** الجنود إلى بلاد فارس، وخرجوا فى اصطخر - بلدة من بلاد فارس كانت فيها خزائن ملوك الفرس قبل الإسلام، وهى تقع على تل صخرى قرب نهر بندمير - وبإزائهم أهل فارس، فحالوا بين المسلمين وبين سفنهم. فلما رأي المسلمون ذلك قاتلوهم قتالا شديدا وتغلبوا عليهم، ثم خرجوا يريدون البصرة، وقد غرقت سفنهم، فلم يجدوا إلى الرجوع عن طريق البحر سبيلا- وهذا ما كان يخشاه أمير المؤمنين عمر - ثم وجد المسلمون أمامهم شهرك قد أخذ على المسلمين بالطرق وقطع عليهم كل مسلك فعسكروا فى مكانهم وامتنعوا.

وبلغ الفاروق خبر العلاء بن الحضرمى وما آل إليه جنده فغضب أشد الغضب وعزله وتوعده وأمر سعد بن أبى وقاص عليه، وأمر العلاء بن الحضرمى أن يلحق بسعد.

وكتب أمير المؤمنين عمر إلى عتبة بن غزوان أمير البصرة أن يسير جندًا لانقاذ

جيش المسلمين الذى أرسله العلاء بن الحضرمى إلى بلاد فارس.

فأسرع عتبة بن غزوان وجند اثنا عشرة ألف مقاتل وجعل عليهم أبا سبرة بن أبي رهم، فسار بجنده حتى حتى أدرك شهرك وهو محاصر لجنود البحرين، **فقاتلوه وهزموه شر هزيمة، وأنقذوا إخوانهم المسلمين ثم عادوا، ورجع أهل البحرين إلى بلادهم عن طريق البصرة.**

*** هزيمة الهرمزان**

بعد انتصار المسلمين فى موقعة القادسية، انهزم الهرمزان وتوجه إلى خورستان فاستولى عليها بعد أن قاتل أهلها ثم أغار على أهل ميسان ودستميسان ـ ميسان منطقة كثيرة فى قراها ونخلها بين البصرة وواسط، ودستميسان: منطقة بين واسط والبصرة والأهواز ـ سمن طريقين: من مناذر : ناحية بوخورستان ـ ونهر تيرى، فطلب عتبة بن غزوان أمير البصرة من سعد بن أبي وقاص المدد، فأمده بنعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود وأمرهما أن يأتيا أعلى ميسان ودستميسان حتى يكونا بينهم وبين نهر تيرى ـ من نواحى الأهواز ـ

كما وجه عتبة بن غزوان سلمى بن القين، حرملة بن مريطة وكانا من المهاجرين فنزلا علي حدوذ أرض ميسان ودستميسان بينهم وبين مناذر، ودعوا أبناء أعمامهم فخرج إليهم غالب الوائلى، وكليب بن وائل الكليبى، فتركا نعيما وأتيا سلمى وحرملة وقالا:

ـ أنتما من العشيرة، فإذا كان يوم كذا وكذا فانهضوا للهرمزان، فإن أحدنا يقاتل بمناذر، والآخر بنهر تيرى فنقتل المقاتلة، ثم تكون وجهتنا إليكم، وليس دون الهرمزان شيء إن شاء الله

ورجعا وقد استجابا، كما استجاب قومهما من بنى العم بن مالك.

وكانوا ينزلون خوزستان ـ ولاية من بلاد فارس يحدها من الغرب بغداد فيها مراعى متسعة ترعى فيها قطعان كبيرة من الماشية ـ قبل الإسلام ـ فأهل البلاد يأمنونهم.

فلما كانت تلك الليلة التى تواعدوا فيها بين سلمى وحرملة، وغالب وكليب وكان الهرمزان يومئذ بين دلث ونهر تيرى، وسلمى بن القين على أهل البصرة، ونعيم بن عمرو بن مقرن على أهل الكوفة فاقتتلوا.

وبينما هم على ذلك أقبل مدد من قبل غالب وكليب.

وأتى الهرمزان الخبر بأن مناذر ونهرتيرى أصبحا فى يد المسلمين وتحت سيطرتهم فألقى الرعب فى قلبه ووهنت عزيمته وضعفت قواه هو ومن معه فهزمه الله وجنده، وفروا.

ولحق بهم المسلمون يطاردون فلول الفرس حتى وقفوا على شاطىء دُجَيْل - دجيل: اسم نهر فى موضعين، **أحدهما** مخرجه من أعلى بغداد بين تكريت وبينهما مقابل القادسية، **ودجيل الآخر**: نهر بالأهواز ومخرجه من أرض أصبهان فى بحر الفرس - وأخذوا ما دونه وعسكروا قبالة سوق الأهواز وعبر الهرمزان وصار دجيل بين الهرمزان والمسلمين.

ولما رأى الهرمزان من قوة المسلمين وثباتهم وملاحقتهم لجيوشه فطلب من المسلمين **الصلح فأجابه عتبة بن غزوان إلى الصلح**: على الهرمزان ومهرجان - تعنى بالفارسية: فرح النفس - قذف ما خلا نهر تيرى ومناذر وما غلبوا عليه من سوق الأهواز فإنه لا يرد عليهم.

وجعل سلمى بن القين على مناذر، وأمرها إلى غالب الوائلى.

وحرملة بن مريطة على نهر تيرى وأمرها إلى كليب بن وائل الكليبى.

*** يزدجرد يعود إلى قتال المسلمين**

فر يزدجرد من أمام المسلمين بعد القادسية إلى مرو، فلم يزل بها يحث الفرس ويحرضهم على قتال المسلمين، فتحركوا وثارت ثائرتهم، وتكاتبوا وأهل الأهواز، وتعاقدوا على الدفاع والحماية والنصرة

وجاءت أخبارهم إلى حرقوص بن زهير وسلمى بن القين، وحرملة بن مريطة فكتبوا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

فكتب الفاروق إلى سعد بن أبى وقاص أن يبعث إلى الأهواز جندا كثيرا وجيشا كبيرا مع النعمان بن عمرو بن مقرن، . وأشار عليه بالاستعجال وأن يكونوا بازاء الهرمزان ويتحققوا من أمره.

كما كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى عبد الله بن قيس ـ أبو موسى الأشعرى ـ والى البصرة أن ابعث إلى الأهواز جيشا عظيما واجعل عليه سهل بن عدى ـ أخو سهيل بن عدى ـ وأن ابعث معهه البراء بن مالك ـ أخو أنس بن مالك: خادم رسول الله ﷺ ـ ومجزأة بن ثور، وعرجفة بن هرثمة وغيرهم.

وعلى كل من أهل البصرة والكوفة أبو سبرة بن أبى رهم ـ صحابى جليل قرشى عامرى قديم الإسلام شهد غزوة بدر وأحدًا والخندق وباقى المشاهد مع السراج النبى ﷺ وقد آخى خاتم النبيين ﷺ بينه وبين سلامة بن وقش ـ

خرج ابن النعمان بن عمرو بن مقرن فى أهل الكوفة فسار إلى الأهواز على البغال، كانوا يتجنبون ركوب الخيل وقد خلف حرقوص بن زهير وسلمى بن القين وحرملة بن مريطة وسار نحو الهرمزان وهو يومئذ برامهرمز فالتقى مع الهرمزان وجيشه بأربك ـ ناحية من نواحى الأهواز ذات قرى ومزارع ـ فاقتتلوا قتالا شديدا . . فانهزم الهرمزان إلى تستر.

وسار النعمان بن مقرن إلى رامهرمز ونزلها.

ثم اجتمع جنود البصرة وجنود الكوفة وكافة القادة وحاصروا الهرمزان بتستر فى الخنادق، وكانوا جميعاً تحت قيادة أبى سبرة بن أبى رهم.

وحاصروا الفرس أكثر من شهر وأكثروا فيهم الطعان وتزاحفوا فى تستر ثمانين زحفا، وكانت الحرب بين الطرفين سجالا.

ثم اقتحم المسلمون خنادق الفرس ودخلوا مدينتهم بعد قتال مرير، فالتجأ الهرمزان إلى القلعة وتحصن بها. ولما رأى الهرمزان أن المسلمين قد ضيقوا عليه كل مكان نادى أصحابه وجنوده وقال:

ـ أضع يدى فى أيديكم على حكم عمر، يصنع بى كيف يشاء.

فأسره المسلمون وأوثقوه واستولوا على تستر.

ثم أرسل المسلمون طلائع جيشهم لقتال الفرس فيما أحاط بتستر من البلدان والإستيلاء عليها.

وفى هذه الموقعة قتل الهرمزان مجزأة بن ثور والبراء بن مالك، وقتل من المسلمين أعداد كثيرة، وعاد عبد الله بن قيس إلى البصرة بأمر عمر بن الخطاب.

*** الهرمزان فى مدينة رسول الله ﷺ أسيرا**

بعث أبو سبرة بن أبى رهم الهرمزان مع وفد من جنده إلى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب..

فلما وصلوا مدينة رسول الله ﷺ ألبسوا الهرمزان كسوته من الديباج المنسوج بالذهب كما ألبسوه تاجه المكلل بالياقوت، كى يراه الفاروق على هيئته، فلم يجدوا الفاروق فى منزله فقالوا:

- أين هو؟

قالوا:

- إنه فى المسجد.

فلما دخل الوفد المسجد ومعهم الهرمزان رأوا الفاروق متوسدا برنسه فى احدى زوايا المسجد **وكان نائما والدرة فى يده معلقة.**

فقال الهرمزان:

- أين عمر؟

قال الوفد المرافق له:

- هو ذا

فتساءل الهرمزان:

- أين حراسه وحجابه؟

قالوا:

ـ ليس له حرس ولا حجاب.

قال الهرمزان:

ـ ينبغى أن يكون نبيا.

قالوا:

ـ بل يعمل عمل الأنبياء.

استيقظ الفاروق من لغط القوم ـ لغط القوم: كلامهم غير المفهوم ـ وجلبة أصواتهم فجلس ونظر إلى الهرمزان، وتساءل الفاروق:

ـ الهرمزان؟

قالوا:

ـ نعم يا أمير المؤمنين

فعاد أمير المؤمنين عمر يتأمله ويتأمل ما عليه من ثياب و.. قال:

ـ أعوذ بالله من النار وأستعين بالله،الحمد لله الذى أذل بالإسلام هذا وأشياعه ثم نظر أبو حفص حوله وقال:

ـ يا معشر المسلمين تمسكوا بهذا الدين واهتدوا بهدى نبيكم ولا تبطرنكم الدنيا فانها غرارة

ثم أمر أمير المؤمنين عمر أن يخلع ما على الهرمزان من حلية، وألبس ثوبا عاديا، ثم سأل الفاروق الهرمزان:

ـ وما عذرك وما حجتك فى انتقاضك ـ نقض الصلح مرة بعد مرة ـ؟

فقال الهرمزان:

ـ أخاف أن تقتلنى قبل أن أخبرك

قال أمير المؤمنين عمر:

ـ لا تخف ذلك

وطلب الهرمزان قدحا من ماء، فأتى بماء فى قدح، فلما أمسك به كانت يده ترتجف فقال:

ـ أخاف أن أقتل وأنا أشرب الماء.

فقال الفاروق:

ـ لا بأس عليك حتى تشربه.

فأكفأه الهرمزان ـ قلب قدح الماء علي الأرض ولم يشربه ـ فقال أمير المؤمنين عمر:

ـ أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش.

فقال الهرمزان:

ـ لا حاجة لى فى الماء، إنما أردت أن أستأمن به.

قال الفاروق:

ـ إنى قاتلك

قال الهرمزان:

ـ لقد أمنتنى

قال أبو حفص:

ـ كذبت

قال أنس بن مالك:

ـ صدق يا أمير المؤمنين قد آمنته.

قال أمير المؤمنين عمر:

ـ ويحك يا أنس أنا أُمنُ قاتل مجزأة ـ مجزأة بن ثور ـ والبراء ـ البراء بن مالك ـ ؟ والله لتأتين بمخرج أو لأعاقبنك

قال خادم رسول الله ﷺ .

ـ قلت له: لا بأس عليك حتى تخبرنى، وقلت: لا بأس عليك حتى تشربه

وقال للفاروق من حوله: مثل ذلك

فأقبل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على الهرمزان وقال له:

ـ خدعتنى والله لا أنخدع إلا لمسلم

أسلم الهرمزان وقال:

ـ فإنى أشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله.

ولما نطق الهرمزان بشهادة الحق فرض له أمير المؤمنين عمر ألفى درهم ، وأنزله مدينة رسول الله ﷺ .

فتح السوس

وصلت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عدة كتب تحمل أخبار اجتماع الفرس بنهاوند

عندئذ أذن الفاروق بالانسياح لجيوش المسلمين فى بلاد الفرس.

فنزل أبو سبرة السوس ـ بلدة بخوزستان ـ وكان مكانه على أهل البصرة المقترب بن ربيعة ـ هو الأسود بن ربيعة قدم على رسول الله ﷺ فقال له: ما أقدمك؟

قال: أقترب بصحبتك فترك من نفسه اسم الأسود ودعا نفسه: المقترب ـ

وقد جمع يزدجرد الأعاجم **بنهاوند ـ مدينة عظيمة ـ**

وكان النعمان بن عمرو بن مقرن بمن معه من أهل الكوفة يحاصرون أهل السوس مع أبى سبرةوزر ـ زرين بن عبد الله بن كليب الفقيمى ـ محاصر أهل جند يسابور ـ مدينة يخوزستان بناها سابورين اردشير فنسبت المدينة إليه ـ

وجاء كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يوجه النعمان بن مقرن إلى أهل نهاوند، فناوشهم قبل مسيره، وكان مناف بن صياد مع المسلمين فى خيل النعمان **ابن مقرن ففتح باب السوس بالقوة، وكسر السلاسل والأقفال التى كانت على الباب، ودخل المسلمون المدينة فطلب أهلها الصلح فأجابهم إلى ذلك.**

*** موقعة نهاوند**

سار النعمان بن مقرن حتى وصل مدينة نهاوند.

وسار المقترب بن ربيعة حتى نزل جند يسابور مع رزين بن عبد الله بن كليب فحاصرها المسلمون مدة ثم فوجئوا بفتح أبواب المدينة، وخرج أهلها من المخابىء والبيوت، كما فتحت الأسواق فأرسل المسلمون يستطلعون الخبر وتساءلوا:

ـ ما حملكم على فعل هذا ؟

قالوا:

ـ إنكم رميتم إلينا بالأمان فقبلناه، وأقررنا لكم بالجزاء على أن تمنعونا

فقال المسلمون:

ـ ما فعلنا

قالوا:

ـ ما كذبنا

فسأل المسلمون عن ذلك؟.

فعلموا أن عبدا يدعى مَكْنَفًا كان أصله من جند يسابورهو الذى بعث لهم بالأمان

فقال المسلمون :

ـ إن الذى كتب إليكم عبد

فقال أهل جند يسابور

ـ نحن لا نعرف عبدكم من حركم، فقد جاء ونحن عليه قد قبلناه، ولم نبدل فان شئتم فاغدروا

فأمسكوا عنهم.

وكتبوا بذلك إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يخبرونه.

فأمر بإمضائه.

فانصرفوا عنهم.

ولما أمر عمر بن الخطاب بأن يسير النعمان بن عمرو بن مقرن إلى قتال الفرس بنهاوند قال:

- إن قتل النعمان بن مقرن فحذيفة بن اليمان، وإن قتل حذيفة فجرير بن عبد الله البجلى.

وخرج النعمان بن مقرن ومعه حذيفة والمغيرة بن شعبة الثقفى والأشعث بن قيس وجرير بن عبد الله البجلى، وعبد الله بن عمر بن الخطاب.

ولما وصل النعمان بن مقرن نهاوند قال:

- يا معشر المسلمين شهدت رسول الله ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار، أخر القتال حتى تزول الشمس.

اللهم ارزق النعمان الشهادة بنصر المسلمين وافتح عليهم.

فأمن القوم على دعائه.

ثم قال النعمان بن عمرو بن مقرن:

- إذا هززت اللواء ثلاثا فاحملوا مع الثالثة، وإن قتلت فلا يلوى على أحد

فلما هز النعمان بن عمرو بن مقرن اللواء الثالثة حمل وحمل معه المسلمون.

*** المعركة**

واقتتل العرب والفرس يومى الأربعاء والخميس وكانت الحرب بينهم سجال.

ثم انجحر الفرس فى خنادقهم يوم الجمعة وحاصرهم المسلمون، وأقاموا عليهم، والفرس بالخيار لا يخرجون إلا إذا إرادوا الخروج

وخاف النعمان بن مقرن أن يطول أمرهم.

فاجتمع النعمان بن عممرو بن مقرن بأصحابه ذوى الرأى وقال:

- قد ترون المشركين واعتصامهم بخنادقهم ومدنهم، وإنهم لا يخرجون إلينا

إلا إذا شاءوا ولا يقدر المسلمون على اخراجهم، وقد ترون الذى فيه المسلمون من التضايق، فما الرأى الذى به نستخرجهم إلىٰ المناجزة وترك التطويل؟

قال عمرو بن ثنى وكان أسن الحاضرين:

ـ التحصن عليهم أشد من المطاولة عليكم، فدعهم وقاتل من أتاك منهم.

فرد النعمان بن مقرن عليه رأيه.

فقال عمرو بن معديكرب:

ـ ناهدهم وكابرهم ولا تخفضهم.

فردوا جميعا عليه رأيه وقالوا:

ـ إنما يناطح بنا الجدران وهى أعوان علينا.

فقال طليحة بن خويلد الأسدى:

ـ أرى أن نبعث خيلا لينشبوا القتال، فإذا اختلطوا بهم رجعوا إلينا استطرادا، فإنما نستطرد لهم فى طول ما قاتلناهم، فإن رأوا ذلك طمعوا وخرجوا فقاتلناهم حتى يقضى الله فيهم وفينا ما أحب.

فصادف رأى طليحة بن خويلد هوى فى نفس النعمان بن مقرن فأمر القعقاع ابن عمرو وكان على المجردة فأنشب القتال، وخرج الفرس من خنادقهم كأنهم جبال حديد قد تواثقوا حتى لا يفروا، وقد قرن بعضهم بعضا كل سبعة فى قران، وألقوا حسك الحديد ـ الحديد المصهور ـ خلفهم لئلا يفروا أو ينهزموا.

فلما خرجوا من **خنادقهم نكص القعقاع** بن عمرو ومن معه وكأنه انهزم أمامهم فاغتنمها الفرس وانطلقوا وراءه فلما رأى طليحة بن خويلد الأسدى الفرس تطارد القعقاع بن عمرو ومن معه قال فى فرح:

ـ هى هى

ولما بعد **الفرس عن حصونهم وخنادقهم ومدنهم،** ورأى النعمان بن مقرن أنهم قد بعدوا مسافة بعيدة تكفى للقتال أمر المسلمين أن يلزموا الأرض ولا يقاتلوا

حتى يأذن لهم.

ففعلوا واستتروا بالحجف والدروع من رمى النبل.

وأقبل الفرس على المسلمين يرمونهم حتى أفشوا فيهم الجراح، وشكا بعض المسلمين وقالوا للنعمان:

ـ ألا ترى ما نحن فيه فما تنتظر؟ ائذن للناس فى قتالهم.

فقال النعمان بن مقرن:

ـ رويدا رويدا.

وانتظر النعمان بن مقرن حتى استدرج الفرس.

وفى صبيحة اليوم الثانى لم يأمر النعمان بن مقرن بالقتال.

لقد انتظر النعمان بن مقرن إلى أحب الساعات إلى خاتم النبيين ﷺ أن يلقى العدو فيها وذلك مع الشروق.

ركب النعمان بن مقرن فرسه وسار إلى المسلمين ووقف على كل راية يذكرهم ويحرضهم ويمنيهم ثم قال:

ـ إنى مكبر ثلاثا، فإذا كبرت الثالثة فإنى حامل فاحملوا، وإن قتلت فالأمير بعدى حذيفة بن اليمان فإن قتل فجرير بن عبد الله البجلى.

حتى عد سبعة آخرهم المغيرة بن شعبة الثقفى.

ثم قال النعمان بن مقرن:

ـ اللهم أعزز دينك، وانصر عبادك، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على اعزاز دينك ونصر عبادك.

اللهم إنى أسألك أن تقر عينى اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام، واقبضنى شهيدا

فبكى المسلمون.

ورجع النعمان بن مقرن إلى موقعه فكبر ثلاثا، ثم اشتبك الجيشان واقتتلوا

قتالا شديدا لم يسمع السامعون بوقعة كانت أشد من وقعة نهاوند، فما كان يسمع إلا وقع الحديد.

وصبر المسلمون صبرا عظيما، وقتل من الفرسان ما بين الزوال والاعتام ما غطى أرض المعركة من الأشلاء والدماء وما يزلق الناس والدواب.

واستجاب السميع البصير لدعوة النعمان بن عمرو بن مقرن فزلق به فرسه فرماه رجل من الفرس بسهم فى خاصرته فصعدت روحه الطاهرة إلى عليين. وكان استشهاده يوم الجمعة

فأخذ الراية الصحابى الجليل حذيفة بن اليمان فحمل على الفرس حملة رجل واحد فلاذ الفرس بالفرار إلى الجبال المجاورة لهمذان وكان من الفارين الفيرزان فتبعهم المسلمون يقتفون أثرهم ويتصيدونهم تحت قيادة القعقاع بن عمرو فقتلوا أكثرهم وقتل الفيرزان معهم.

وغنم جند الله غنائم كثيرة.

واستولى المسلمون على همذان.

وجاء حذيفة بن اليمان رؤساء البلاد من الفرس وصالحوه على همذان ثانى مدينة فى الفرس وبها عدد عظيم من اليهود لا يوجد مثلهم فى غيرها.

وكان المسلمون يسمون فتح نهاوند فتح الفتوح لأنه لم يكن بعده حرب، ولم يقم للفرس بعد هذه الموقعة قائمة.

ولما جاء البريد إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بالفتح واستشهاد النعمان بن عمرو بن مقرن بكى بكاء شديدا وتمزق قلبه حزنا عليه وخرج فنعاه إلى الناس على المنبر ووضع يده على رأسه وبكى.

كان عدد جيوش المسلمين فى موقعة نهاوند ثلاثين ألف مقاتل، وعدد جيوش الفرس مائة وخمسين ألف مقاتل تحت قيادة الفيرزان، قتل منهم فى ساحة الحرب ثلاثون ألفا، وفرا الفيرزان إلى همذان ثم قتل فيها

*** أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يأمر بالانسياح فى بلاد فارس**

بعد موقعة نهاوند أمر الفاروق بالانسياح - الاتساع والاندفاع - فى بلاد فارس عملا بمشورة الصحابى الجليل **الأحنف بن قيس**

وعين الفاروق رؤساء الجنود لافتتاح البلاد وأرسل الألوية إلى أصحابها، وكانت على النحو التالى:

الأحنف بن قيس إلى خراسان

مجاشع بن مسعود السلمى إلى أزدشيرخرة وسابور - أزدشيرخرة: معناه بهاء اردشير ومنها: مدينة شيراز -

عثمان بن أبى العاص الثقفى إلى اصطخر

سارية بن زنيم الكتانى إلى فسا ودارابجرد - فسا مدينة بفارس بينها وبين شيراز أربعة مراحل -

سهيل بن عدى إلى كرمان-هى مدينة بين فارس ومكران سجستان وخرسان -

عاصم بن عمرو إلى سجستان - ولاية واسعة جنوبى هراة، وبينها وبين كرمان ثلاثة عشر فرسخا -

الحكم بن عمير التغلبى إلى مُكران - ولاية كرمان من غربها، وسجستان شمالها، والبحر جنوبها ويغلب عليها الصحارى -

وأمدهم الفاروق بنفر من أهل الكوفة

فأمد سهيل بن عدى بعبدالله بن عتبان

وأمد الأحنف بن قيس بعلقمة بن النضر، وعبدالله بن أبى عقيل، وربعى بن عامر

وأمد عاصم بن عمرو بعبدالله بن عمير الأشجعى

وأمد الحكم بن عمير بشهاب بن المخارق فى جموع

*** غنائم المسلمين فى موقعة نهاوند**

لما دخل المسلمون مدينة نهاوند بعد هزيمة الفرس جمعوا ما فيها من الأمتعة

وغيرها وانتظروا ما يأتيهم من اخوانهم الذين كانوا بهمذان مع القعقاع بن عمرو ونعيم بن مقرن

فأتاهم الهربذ صاحب بيت النار على أمان، فأبلغ حذيفة بن اليمان فقال:

ـ أتؤمننى ومن شئت على أن أخرج لك ذخيرة لكسرى كانت عندى لنوائب الزمن؟

فقال حذيفة بن اليمان:

ـ نعم

فأحضر الهربذ جوهرا نفيسا فى سفطين ـ مفرد سفط وهو وعاء تضع به النساء المجوهرات ـ

فأرسلها حذيفة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مع الأخماس ـ خمس الغنائم ـ برفقة السائب بن الأقرع الثقفى، وفى اليوم التالى أرسل الفاروق إلى السائب وقال له:

ـ خذ السفطين وابتعد بهما وبعهما

فتساءل السائب:

ـ ولم يا أمير المؤمنين؟

قال أبو حفص:

ـ ويحك والله ما هو إلا نمت الليلة التى خرجت فيها فباتت الملائكة تسحبنى إلى السفطين يشتعلان نارا ويقولون: لنكوينك بهما، فأقول: إنى سأقسمها بين المسلمين، فخذها عنى فبعها واجعلها فى أعطية المسلمين وأرزاقهم

وكان سهم الفارس بنهاوند ستة آلاف درهم، وسهم الراجل ألفين

وقد نفل حذيفة بن اليمانمن الأخماس من شاء من أهل البلاد.

*****

فتح العراق

قدم المثنى بن حارثة الشيبانى من الحيرة على الخليفة الأول فى مدينة رسول الله ﷺ حيث دار الخلافة وذلك أول سنة ثلاث عشرة من الهجرة يطلب منه أن يبعث بعثا لقتال الفرس فى العراق، غير أن أبا بكر كان فى مرضه الأخير ـ الذى مات فيه ـ فأوصى بذلك إلى الفاروق.

وكان أول عمل يقوم به أمير المؤمنين عمر بعد أن بويع بالخلافة أن ندب الناس مع المثنى بن حارثة إلى أهل فارس قبل صلاة الفجر ـ تنفيذا لوصية **الصديق، فلم ينتدب له أحد فقد كان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم وأثقلهم عليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وقهوهم الأمم**

وندب الفاروق الناس فى اليوم الثانى فلم ينتدب إليه أحد

حتى تكلم المثنى بن حارثة فى الناس فقال:

ـ يا أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه ـ هذه الجهة من بلاد فارس ـ فانا قد تبحبحنا ـ توسعنا ـ ريف فارس وغلبناهم على خير شقى السواد ـ شقى السواد: طرفى سواد العراق، وقد غلب المسلمون أهل فارس الطرف الغربى من الفرات ـ وشاطرناهم ونلنا منهم واجترأ من قبلنا عليهم، ولها إن شاء الله ما بعدها.

حتى إذا كان اليوم الرابع من خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب انتدب الناس للمرة الرابعة.

فنهض أبو عبيد بن مسعود الثقفى وقال:

ـ أنا لها

ثم قام سعد بن عبيد، وسليط بن قيس

وتتابع الناس فى اللحاق بهم

وانتخب الفاروق من أهل المدينة ومن حولها ألف رجل وجعل عليهم أبا عبيد بن مسعود قائدا وأعطاه الراية

فكان أول جيش سيره أبو حفص

*** موقعة النمارق**

رجع المثنى بن حارثة الشيبانى إلى الحيرة بعد أن تغيب شهرا، وأثناء ذلك كان الفرس قد تشاغلوا عن المسلمين بخلاف وقع فيما بينهم، فقد استولى أمير منهم على الحكم، ثم جاءت امرأة ـ أميرة بوران ـ تتغلب عليه وسط سفك الدماء والثورة والفتن، حتى استدعت بوران رستم القائد الفارسى المشهور لكى يأتيها على جناح السرعة وكان بخراسان

فأقبل رستم فى الناس حتى نزل المدائن لا يلقى جيشا لخصومه من الفرس إلا هزمه، فاقتتلوا بالمدائن، فهزم سياوخش وحُصر وحصرت آزرميدخت ثم افتتحها وقتل سياوخش، ونصب بوران، ودعته إلى القيام بأمر أهل فارس، وشكت إليه تفرقهم، وادبار أمرهم.

فقال رستم:

ـ أما أنا فسامع مطيع، غير طالب عوضا ولا ثوابا

ولما قدم المثنى بن حارثة الشيبانى الحيرة لحق به أبو عبيد بن مسعود الثقفى بعد شهر وأقام المثنى بالحيرة خمس عشرة ليلة

أرسل رستم جيشا لحرب المثنى بن حارثة بالحيرة، فلما علم المثنى الخبر خرج فى جماعة حتى نزل خفان ـ منطقة على الفرات الغربى ـ لئلا يؤتى من خلفه بشىء يكرهه، وأقام هناك حتى وصل إليه أبو عبيد بن مسعود الثقفى مع جيشه الذى بعثه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

ثم نهض وعبأ جيشه فجعل المثنى على الخيالة وعلى ميمنته والق بن جيداره، وعلى ميسرته عمرو بن الهيثم بن الصلت

وجعل جابان ـ قائد جيش الفرس الذى عينه رستم ـ على مجنبتيه جشنس ماه

ومردانشاه

فنزل المسلمون على جابان بالنمارق فاقتتلوا قتالا شديدا

وهزم الله أهل فارس وأسر جابان، ولكنه فك أسره بخدعة، ثم لم يملك من أمره إلا الفرار.

أما أبو عبيد بن مسعود الثقفى فقد عبر الفرات وفاجأ القائد الثانى لجيش الفرس ويدعى نرسى، واستولى على معسكره وغنم شيئا كثيرا من التمر الفاخر المسمى بالنرسيان الذى لا يأكله إلا الملك وقواد جيشه وكبار حاشيته

وقدمت القبائل المجاورة وقدمت الجزية طائعة برهانا منها على ولائهم لأبى عبيد بن مسعود وأولموا له وليمة فاخرة فأبى أن يحضرها إلا مع جيشه فجاء الجيش بأكمله وأكل

*** موقعة الجسر**

اغتاظ رستم من هزيمة جيشيه اللذين قادهما: جابان، ونرسى على يد أبى عبيد بن مسعود الثقفى ومن معه من المسلمين وقال:

ـ أى العجم أشد على العرب فيما ترون؟

قالوا:

ـ بهمن جاذويه المعروف بذى الحاجب ـ كان يعصب حاجبيه بعصابة كبرا وتيها ـ

فوجهه رستم ومعه الفيلة، فأقبل بهمن جاذويه بجيشه ومعه راية كسرى ـ درفش كابيان ـ وكانت من جلود النمر طولها اثنى عشر ذراعا وعرضها ثمانية أذرع ـ ونزل قس الناطف ـ وهو موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقى ـ، وأقبل أبو عبيد بن مسعود فنزل بالمروحة ـ وهو موضع على شاطئ الفرات الغربى ـ مقابل عسكر بهمن جاذويه، فأرسل إلى أبى عبيد يقول له:

ـ إما أن تعبروا إلينا وندعكم والعبور، وإما أن تدعونا نعبر إليكم

فقال بعض القادة المسلمين لأبى عبيد بن مسعود:

ـ لا تعبر إليه يا أبا عبيد، وننهاك أن تعبر إليه

فقال أبو عبيد:

ـ لا يكونوا أجرأ على الموت منا

فعبر أبو عبيد النهر وجيشه على جسر

وضاقت الأرض بأهلها، ونشب القتال، وكان قتالا شديدا

ولما رأت خيول المسلمين الفيلة ـ الأمر الذى لم تكن اعتادت أن ترى مثله ـ لم تتمكن من التقدم وحين حملت جيوش الفرس على المسلمين فرقت خيلهم وألقت الخوف والقلق والاضطراب فى صفوفهم فرموهم بالنشاب

واشتد الأمر على المسلمين، فنزل أبو عبيد بن مسعود الثقفى وترجل، وكذلك فعل جنده ثم مشوا إلى الفرس واحتدموا معهم فى ملحمة ضارية، حيث التحم العربى بالفارسى

ونادى أبو عبيد فى جيشه:

ـ أيها الناس عليكم بالفيلة، قطعوا أحزمتها، واقلبوا عنها من ركبها

ووثب أبو عبيد بنفسه على الفيل الأبيض فقطع حزامه فوقع من كان عليه

وفعل المسلمون مثل ما فعل أبو عبيد، فما تركوا فيلا إلا حطوا رحلة وقتلوا صاحبه

وأهوى الفيل لأبى عبيد بن مسعود الثقفى فضربه بالسيف يريد قطع مشفره ـ خرطومه ـ لكن الفيل سبقه وضربه بخرطومه أو بيده خبطة شديدة وقع على أثرها أبو عبيد على الأرض فوطئه الفيل، قام عليه

ولما شاهد المسلمون أبا عبيد تحت قدم الفيل اشتد عليهم الأمر، وراحوا يدافعون عنه لانقاذه من تحت قدم الفيل فقتل أثناء ذلك سبعة من ثقيف حمل كل

منهم اللواء بعد الآخر ثم أخذ اللواء بعد ذلك المثنى بن حارثة الشيبانى فهرب منه الناس

ولما رأى عبدالله بن مرثد الثقفى ما لقى أبو عبيد ومن أتى بعده وما يصنع الناس أسرع إلى الجسر ـ الجسر الذى عبر منه المسلمون من غربى الفرات إلى شرقه حيث لاقى جيش بهمن جاذويه ـ وقطعه وقال:

ـ أيها الناس موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أو تظفروا

وحاز الفرس ـ حاز: دفع ـ المسلمين إلى الجسر فتواثب بعضهم إلى الفرات فغرق من لم يصبر، ووصل بعضهم إلى الشاطئ الآخر وشجع المثنى وفرسان المسلمين الناس وقال:

ـ أنا دونكم فاعبروا على هينتكم ـ أوصاهم بالعبور هونا وعلى مهل وتؤدة ـ ولا تدهشوا ولا تغرقوا أنفسكم

وقاتل عروة بن زيد الخير قتالا شديدا، وأبو محجن الثقفى، كما قاتل أبو زيد الطائى حمية للعربية ـ كان نصرانيا ـ قدم الحيرة لبعض شأنه

ونادى المثنى بن حارثة:

ـ من عبر نجا

فعقد الجسر وعبر الناس

وكان آخر من قتل عند الجسر: سليط بن قيس وجرح المثنى بن حارثة الشيبانى، وعبر الجسر وحمى جانبه الغربى، فاضطرب عسكره، وأرادهم ذو الحاجب فلم يقدر عليهم

وعاد أهل المدينة من جند المسلمين إلى المدينة، وتركها بعضهم الآخر ونزلوا البوادى، وبقى المثنى بن حارثة مع قلة من جنده.

ولما وصل الخبر أمير المؤمنين عمر وخاصة عمن سار فى البلاد حياء من الهزيمة، اشتد عليه ذلك وصعب، وقال:

ـ اللهم إن كل مسلم فى حل منى أنا فئة ـ جملعة من المسلمين ـ كل مسلم، يرحم الله أبا عبيد لو كان انحاز إلى لكنت له فئة

وكان أول من قدم مدينة رسول الله ﷺ بخبر هذه الموقعة عبدالله بن الحصين الخطمى

وكان معاذ القارئ من الذين فروا إلى مدينة رسول الله ﷺ فكان إذا قرأ هذه الآية ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[سورة الأنفال الآية: ١٧]

بكى

فيقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب:

ـ لا تبك يا معاذ أنا فئتك وإنما انحزت إلى

وكان عدد جيش المسلمين فى موقعة االجسر تسعة آلاف، قتل منهم أربعة آلاف بين قتيل وغريق وجريح، وهرب ألفان، وبقى مع المثنى بن حارثة على قيد الحياة ثلاثة آلاف

وقتل من جيش الفرس ستة آلاف

*** الاضطرابات الداخلية فى بلاد الفرس**

بعد أن هدأت الحرب ووضعت أوزارها أراد بهمن جاذويه عبور نهر الفرات لمتابعة انتصاراته غير أنه بلغه خبر حدوث ثورة فى المدائن ـ عاصمة الفرس ـ الغرض منها القضاء على رستم ونقض العهد الذى بينه وبين جماعته

فصاروا فريقين

وهكذا كانت الاضطرابات الداخلية فى بلاد الفرس سببا فى انشغالهم عن متابعة المسلمين واللحاق بهم، كما أنها أعطت الفرصة للمسلمين ليستردوا أنفاسهم ولأن يجمعوا شملهم ويتمتعوا ولو قليلا بقسط من الراحة.

*** أسباب هزيمة المسلمين يوم موقعة الجسر:**

كانت أسباب هزيمة المسلمين يوم موقعة الجسر:

عبور جيش المسلمين إلى جهة الفرس، مع أن القادة حذروا أبا عبيد من العبور، ولكنه ظن أن العبور إليهم قوة وشجاعة.

كان خطأ جسيما عندما قطع عبدالله بن أبى مرثد الثقفى الجسر على المسلمين، فحوصرا وارتبكوا وغرق كثير منهم.

مقتل قائد جيش المسلمين أبو عبيد بن مسعود الثقفى الذى قتل تحت أقدام الفيل، ولا يخفى أن قتل القائد العام له تأثيره النفسى السيئ فى نفوس جنوده، لأنهم يعتبرون قتله قتل للجند، وفى انخذاله انخذال للجيش كله

*** موقعة البويب**

البويب: نهر بالعراق

وكانت هذه الموقعة فى رمضان سنة ثلاث عشرة من الهجرة

تلقى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نبأ هزيمة المسلمين يوم موقعة الجسر بهدوء على الرغم من استيائه من انكسار المسلمين، ولم يؤنب أحدا على فعلته، ولكنه ندب الناس إلى المثنى بن حارثة الشيبانى بالعراق، وكان فيمن ندب بُجَيْلَةَ، وأمرهم إلى جرير بن عبدالله، وعصمة بن عبدالله الضبى ومن تبعه، وسيرهم إلى المثنى بن حارثة.

وأرسل أمير المؤمنين عمر كل من أتى من القادة والجنود من حرب الردة إلى المثنى بن حارثة أيضا وقام المثنى بن حارثة الشيبانى وبعث الرسل إلى من حوله من العرب فجاءوا إليه فى جمع عظيم وكان منهم: أنس بن هلال النمر فى جمع عظيم من قبائل النمر وهم نصارى وقالوا:

ـ نقاتل مع قومنا

وبلغ رستم والفيرزان ما فعله المثنى بن حارثة الشيبانى، وما جاءه من امدادات ـ أنتهم العيون أى الجواسيس بذلك ـ، واتفقا على أن يبعثا مهران الهمذانى فخرج هذا فى الخيول وأمراه بالحيرة، وسمع المثنى بن حارثة بذلك عندما كان بين القادسية وخفان ـ موضع قرب الكوفة ـ وعلم المثنى ذلك بواسطة جاسوس له،

كذلك علم أن الأمور قد استتبت فى المدائن، وأن جيشا كبيرا قد أرسل لمحاربته.

فاستبطن ـ نزل بطن الوادى ـ فرات بادقلى، وكتب إلى جرير بن عبدالله البجلى، وعصمة بن عبدالله الضبى، وكل من أتاه من الامداد أن موعدهم: البويب على الفرع الغربى من الفرات فوافوه هنالك.

وكان مهران الهمذانى بازاء المثنى بن حارثة الشيبانى بالطرف الشرقى من الفرات

فأرسل مهران إلى المثنى بن حارثة:

ـ إما أن تعبر إلينا، وإما أن نعبر اليك

فقال المثنى بن حارثة:

ـ بل اعبروا إلينا.

لقد امتنع المثنى بن حارثة من العبور لتحذير كان من الفاروق

فعبر مهران وجنده ونزلوا على شاطئ الفرات

وقال المثنى بن حارثة لجنده:

ـ يا معشر المسلمين افطروا

لقد كان أمر المثنى لجنده بالافطار ليكون ذلك عونا لهم على القتال وقوة على عدوهم كما فعل خاتم النبيين ﷺ يوم بدر . . فأفطروا

تقدم الفرس فى صفوف ثلاثة، كل صف معه فيل ويمشى المشاة أمامه ولهم صوت

فقال المثنى بن حارثة:

ـ إن الذى تسمعون فشل، فالزموا الصمت

وكان المثنى فى صفوفه يعهد إلى جند الله وهو راكب فرسه الشموس ـ صفة للفرس وإنما سمى بذلك المينه ـ وكان لا يركبه إلا إذا أراد القتال، فوقف على الرايات يحرضهم ويحثهم فقال:

ـ إنى لأرجو أن لا يؤتى الناس من قبلكم اليوم، والله ما يسرنى اليوم لنفسى شىء إلا وهو يسرنى لعامتكم

فيجيبونه بمثل ذلك، لأنه كان محبوبا لديهم

وقال المثنى بن حارثة الشيبانيك

ـ إنى مكبر ثلاثا فهيئوا ثم احملوا فى الرابعة

لكنه ما كان يكبر حتى عاجلتهم الفرس وخالطوهم وركدت خيلهم

ورأى المثنى بن حارثة خَلَلاً فى بنى عجل فأرسل إليهم يقول:

ـ الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول: لا تفضحوا المسلمين اليوم

فقالوا:

ـ نعم

واعتدلوا

فضحك فرحا

فلما اشتد القتال وطال قال المثنى بن حارثة لأنس بن هلال النمرى:

ـ إنك امرؤ عربى، وإن لم تكن على ديننا، فاذا حملت على مهران الهمذانى فاحمل معى

فحمل المثنى بن حارثة على مهران الهمذانى فأزاله عن موقعه حتى دخل فى ميمنته ثم خالطوهم واجتمع القلبان، وارتفع الغبار، والجنبات تقاتل بشدة لا يستطيعون أن ينهوا المعركة لصالح أحد الطرفين ـ لا للمسلمين، ولا للفرس ـ وأصيب مسعود أخو المثنى بن حارثة ومن معه من الجند فقال مسعود:

ـ يا معشر بكر ارفعوا رايتكم رفعكم الله ولا يهولنكم ـ لا يخيفنكم ـ مصرعى

وقال المثنى بن حارثة:

ـ إذا رأيتونا أصبنا فلا تدعوا ما أنتم فيه، الزموا مصافكم ـ أماكنكم ـ واغنوا عمن يليك

واشتبك قلب جيش المسلمين مع قلب جيش المشركين فى قتال عنيف

وقتل غلام نصرانى من تغلب مهران الهمذانى واستولى على فرسه

وصال المثنى بن حارثة وجال حتى أفنى قلب جيش الفرس، فلما رأى مجنبات المسلمين ذلك قاتلوا مجنبات المشركين بشجاعة واقدام حتى هزموا الفرس

وسبقهم المثنى بن حارثة إلى الجسر وأخذ الطريق على الأعاجم فأخذتهم خيل المسلمين حتى قتلوهم وجعلوهم جثثا

وسمى ذلك اليوم يوم الأعشار فقد قتل كل رجل من المسلمين عشرة من الفرس الذين قدر قتلاهم فى ذلك اليوم بمائة ألف

وندم المثنى بن حارثة على أخذه بالجسر وقال:

ـ عجزت عجزة وقانا الله شرها بمسابقتى اياهم إلى الجسر حتى أخرجتهم، فلا تعودوا أيها الناس إلى مثلها، فانها كانت زلة فلا ينبغى اخراج من لا يقوى على امتناع

يريد بذلك أنه لما حجز الجسر كان سببا لخسارة رجاله

ومات ناس من جرحى المسلمين منهم مسعود بن حارثة الشيبانى، وخالد بن هلال فصلى عليهم المثنى بن حارثة وقال:

ـ والله ليهون وجدى ـ حزنى ـ أن صبروا وشهدوا البويب ولم ينكلوا

وكانت غنائم المسلمين عظيمة فغنموا شيئا كثيرا فيها الحبوب والدقيق والبقر والغنم

فقسمها المثنى بن حارثة بين المقاتلين من جنده وأجناد المدد الذين بعث بهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من مدينة رسول الله ﷺ إلى العراق

بعد ذلك كتب القواد الذين قادوا المسلمين فى الطلب إلى المثنى بن حارثة، وكتب عاصم وعصمة وجرير:

إن الله عزوجل قد سلم وكفى ووجه لنا ما رأيت، وليس دون القوم شيء فتأذن لنا فى الإقدام.

فأذن لهم

فأغاروا حتى بلغوا ساباط، وتحصن أهل ساباط منهم واستباحوا القرى دونهم، وتبعهم الناس ثم رجعوا إلى المثنى بن حارثة الشيبانى.

*** سوق الخنافس**

سار المثنى بن حارثة فى سواد العراق، وخلف بالحيرة بشير بن الخصاصية

وأرسل المثنى بن حارثة جرير بن عبدالله البجلى إلى ميسان

ونزل المثنى أليس ـ قرية من قرى الأنبار ـ وهذه الغزوة تسمى غزوة الأنبار الآخرة، وبعضهم يسميها غزوة أليس الآخرة

وجاء المثنى بن حارثة الشيبانى رجلان: أحدهما من أهل الأنبار، والآخر من أهل الحيرة كل منهما يدله على سوق، فدله الأنبارى على **سوق الخنافس**، والرجل الحيرى دله على **سوق بغداد** فتساءل المثنى:

ـ أيتهما أقرب إليه؟

قالوا:

ـ سوق الخنافس

فعاد يتساءل:

ـ كم بينهما؟

قالوا:

ـ بينهما أيام

ووصفوا له سوق الخنافس أنه يتوافى ـ يقدم ـ إليها الناس، ويجتمع بها من

ربيعة وقضاعة يخفرونهم ـ يحمونهم ـ

فاستعد لها المثنى حتى ظن أنه موافيها يوم سوقها، فركب نحوهم، وأغار على الخنافس يوم اجتماع الناس فى سوقهم وبها خيلان من ربيعة وقضاعة ـ وعلى قضاعة رومانس بن وبره، وعلى ربيعة السليل بن قيس وهم الخضراء ـ

فنسف المثنى بن حارثة السوق ومن فيها، وسلب الخضراء، ثم رجع حيث بدأ حتى يطرق دهاقين ـ رؤساء ـ الأنبار فى أول النهار يومه ذاك، فتحصنوا منه، فلما عرفوه نزلوا إليه فأتوه بالأعلاف والزاد، وأتوه بالأدلاء على بغداد، فصبحهم فى أسواقهم، فوضع فيهم السيف فقتل منهم مقتلة عظيمة، وأخذ جنده ما شاء الله لهم أن يأخذوه

وقال لهم المثنى بن حارثة:

ـ لا تأخذوا إلا الذهب والفضة، ولا تأخذوا من المتاع إلا ما يقدر الرجل منكم على حمله على دابته

وهرب أهل الأسواق، وملأ المسلمون أيديهم من الصفراء ـ الذهب ـ والبيضاء ـ الفضة ـ فنزل المثنى وخطب فى الناس قائلا:

ـ أيها الناس انزلوا واقضوا أوطاركم ـ جمع وطر: وهى الحاجة والبغية ـ وتأهبوا للسير، واحمدوا الله وسلوه العافية

فسمع المثنى بن حارثة همسا فيما بينهم:

ـ ما أسرع القوم فى طلبنا

فقال المثنى بن حارثة:

ـ تناجوا بالبر والتقوى ولا تناجوا بالاثم والعدوان، انظروا فى الأمور وقدروها ثم تكلموا.

إلى أن قال:

ـ ولو طلبكم المحامون من رأى العين ما أدركوكم، حتى تنتهوا إلى عسكركم

وجماعتكم، ولو أدركوكم لقاتلتهم لاثنتين: التماس الأجر، ورجاء النصر، فثقوا وأحسنوا به الظن، فقد نصركم الله فى مواطن كثيرة وهم أعد منكم ـ أكثر منكم عددا ـ

ثم عاد المثنى بن حارثة بجنده وجماعته راجعا حتى نزل بنهر السيلحين بالأنبار

ثم واصل زحفه حتى بلغ شمال تكريب

وكتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بأخبار غزواته.

فتح خراسان

*** غزوة طبرستان**

كانت سنة ٣٠ من الهجرة

طبرستان ولاية من ولايات ايران قديما

*** موقعها**

تقع إلى الجنوب الشرقى من بحر قزوين، يحدها من الغرب كيلان ـ جيلان ـ ومن الجنوب العراق خراسان، ومن الشرق خراسان، ومن نواحيها: استراباذ ودنباوند ـ دياقند ـ وسميت بذلك لكثرة ما فيها من الفؤوس

وهى مولفة من كلمتين:

طبر: ومعناها الفؤوس

استان: ومعناه الموضع أو المكان

*** أول من أراد فتح طبرستان**

أول من قصد فتح طبرستان سويد بن مقرن، أرسله أخوه نعيم بن مقرن بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب، فسار سويد نحو قومس ودخلها سلما، ثم دخل جرجان

وقيل:

صالحه الأصبهند صاحب طبرستان

ثم غزاها سعيد بن العاص، إلا أن عبدالله بن عامر خرج من البصرة يريد خراسان فسبق سعيد بن العاص.

ونزل عبدالله بن عامر أبرشهر، وعندها تحول سعيد بن العاص بجنده ونزل قومس فصالح أهلها، ثم أتى سعيد طمية ـ مدينة على ساحل البحر فى تخوم جرجان ـ وهى كلها من طبرستان متاخمة لجرجان، فقاتله أهلها حتى صلى مع جيشه صلاة الخوف وهم فى حالة التحام مع العدو، فضرب سعيد رجلا من المشركين على حبل عاتقه فخرج السيف من تحت مرفقه

وحاصرهم سعيد بن العاص فسألوه الأمان

فأعطاهم ذلك على أن لا يقتل منهم رجلا واحداً

فلما فتحوا له الحصن قتلهم جميعا إلا رجلا واحدا، وضم إليه كل ما كان فيه

كما فتح سعيد بن العاص نامية ـ أرض صحراوية ليس فيها بناء ولا مدينة ـ وعاد إلى الكوفة ولما صالحهم كانوا يعطونه الجزية أحيانا ويمنعون حينا، ثم امتنعوا عليه وكفروا

*** فتح خراسان**

كان ذلك فى عام ٣١ من الهجرة

بعد أن طعن أبو لؤلؤة المجوسى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وسقط شهيدا، **نقض أهل خراسان الصلح وغدروا بالمسلمين**

ولما بايع المسلمون أمير المؤمنين عثمان بن عفان، **ولى عبدالله بن عامر** على البصرة فعمل على فتح بعض البلدان، ومدن فارس

خرج عبدالله بن عامر ليغزو خراسان وجعل على البصرة زياد بن أبى سفيان

وسار ابن عامر إلى كرمان فاستعمل على حربها مجاشع بن مسعود السلمى، وأمره بقتال أهلها، **وكانوا نكثوا بعقد الصلح وغدروا بالمسلمين**

واستعمل عبدالله بن عامر على قتال سجستان ـ بلدة بينها وبين كرمان ١٣٠ فرسخا ـ وحرب أهلها الربيع بن زياد الحارثى، **وكانوا أيضا قد نقضوا الصلح**

وسار عبدالله بن عامر إلى نيسابور، وجعل فى مقدمة جنده الأحنف بن قيس، فأتى الطَّبْسين: وهما **حصنان وباب خراسان**

فصالحه أهلها

ثم سار إلى قهستان فلقيه أهلها وقاتلهم قتالا شديدا حتى التجأوا إلى حصنهم

وبعث عبدالله بن عامر سرية إلى رستاق زام ـ من أعمال نيسابور ـ ففتحها بعد أن قاتل أهلها كما فتح الله على يديه باخارز وجوين ـ من أعمال نيسابور ـ وسبى سباياهم

بعد ذلك وجه عبدالله بن عامر الأسود بن كلثوم بن عدى إلى بيهق ـ من أعمال نيسابور ـ فدخل البلد من ثغرة كانت فيه

ودخلت معه فرقة من جنوده، غير أن الأعداء سدوا عليهم هذه الثغرة، وقاتلوا المسلمين قتالا شديدا، فقتل الأسود بن كلثوم وطائفة ممن كان معه

وقاد المعركة بعد كلثوم أخوه أدهم بن كلثوم، فظفر بالفتح بعد قتال مرير بينه وبين الفرس

ودفن أدهم بن كلثوم جميع الشهداء إلا جثة أخيه الأسود الذى كان يدعو الله أن يحشره من حواصل الطير وبطون السباع فلم يوارها.

كما فتح الله على عبدالله بن عامر قرى ومدنا من أعمال نيسابور وهى:

بشت، أشبنذ، رخ، وزاره، وخواف، وأسفرائن، وأرعيان

ثم قدم إلى أبرشهر وهى مدينة نيسابور فحاصر أهلها عدة من الشهور، وكانت المدينة مقسمة إلى أربعة أقسام، وعلى كل قسم من هذه الأرباع وكلوا رجلا منهم، فجاء صاحب أحد هذه الأرباع إلى عبدالله بن عامر وطلب منه الصلح والأمان على أن يدخل المسلمون المدينة

فأجابه ابن عامر إلى أمانه، وأدخل الرجل المسلمين المدينة ليلا وفتحوا لهم أبوابها وتحصن مرزبانها فى الحصن ـ القلعة ـ ومعه جماعة من الفرس، وطلب **الأمان على أن يصالحه عن جميع نيسابور، ويدفع للمسلمين الجزية السنوية**

ولما تم لعبدالله بن عامر فتح نيسابور ولى عليها قيس بن الهيثم السلمى

ووجه بعد ذلك عبدالله بن عامر عبدالله بن خازم السلمى إلى حمراندر من نسا وهى قرية، ففتحها وأتاه صاحب نسا فصالحه على ما تحمله الأرض من الخارج على أن لايقتل أحدًا ولا يسبيه

وقدم على عبد الله بن عامر بهمنة عظيم أبيورد فصالحه على أربعمائة ألف درهم.

ووجه عبدالله بن عامر بن خازم إلى سرخس ـ مدينة بين نيسابور ومرو ـ فقاتلهم حتى قدم مرزبان المدينة ويدعى زاذويه يطلب الصلح على تأمين مائة رجل، وأن يدفع إليه النساء فصارت ابنة المرزبان فى سهم عبدالله بن خازم فاتخذها لنفسه وسماها: ميساء

ووجه عبدالله بن خازم من سرخس يزيد بن سالم مولى شريك الأعور إلى **كييف وبينة ففتحهما، وأتى كنازتك مرزبان طوس** إلى عبدالله بن عامر فصالحه عن طوس على ستمائة ألف درهم.

وأرسل عبدالله بن عامر إلى هراة جيشا بقيادة أوس بن ثعلبة فبلغ عظيم هراة أمر هذا الجيش

فقدم إلى عبدالله بن عامر وصالحه عن **هراة وبادغيس وبوشنح**

أما طاغون وباغون فقد تم فتحهما عنوة

وكتب له عبدالله بن عامر:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أمر به عبدالله بن عامر عظيم بوشنح وباغيس، أمره بتقوى الله ومناصحة المسلمين واصلاح ما تحت يديه من الأرضين

وصالحه عن هراة سهلها وجبلها على أن يؤدى من الجزية ما صالحه عليه، وأن يقسم ذلك على الأرضين عدلا بينهم فمن منع ما عليه فلا عهد له ولا ذمة

وشهد على هذا الكتاب ربيع بن نهشل، وجثم بن عامر

كما أرسل مرزيان مرو الشاهجان يسأل الصلح فوجه عبدالله بن عامر إليه حاتم بن النعمان الباهلى فصالح أهلها.

وكان فى صلحهم أن يوسعوا للمسلمين فى منازلهم وأن عليهم قسمة المال، وليس على المسسلمين إلا قبض ذلك.

وكان فتح مرو صلحا كلها إلا قرية منها تسمى: السنح فقد فتحت عنوة

وأرسل عبدالله بن عامر الأحنف بن قيس إلى **مرو الروز** وهو حصن يعرف بحصن الأحنف، كما يدعى: بشق الجرد، فحاصر أهله حتى قدموا عليه **يعرضون عليه الصلح. فصالحهم على أن يدخل رجل من رجال الأحنف القصر فيؤذن فيه ويقيم بينهم حتى ينصرف الأحنف بن قيس عنهم**

وكان الصلح عن جميع الرستاق

ثم تابع الأحنف بن قيس مسيرة جيشه نحو مرو الروز فحاصر أهله، فقاتلوه قتالا شديدا . . ولكن المسلمين هزموهم فدخلوا حصونهم

وجاء المرزبان من ولدباذام فصالحه على ستين ألف درهم

وبعث الأحنف بن قيس الأقرع بن حابس التميمى إلى الجوزجان فى خيل، فقال الأقرع لمن معه:

- يا بنى تميم تحابوا وتباذلوا تعتدل أموركم، وابدأوا بجهاد بطونكم وخروجكم يصلح لكم دينكم، ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم

فسارع الأقرع بن حابس التميمى فلقى عدوه فشد عليهم شدة رجل واحد. . فكانت فى المسلمين جولة ثم كروا على عدوهم فهزموه . . . وفتحوا الجوزجان عنوة

كما فتح الأحنف بن قيس الطالقان صلحا

وفتح الأحنف الفارياب

ثم سار الأحنف بن قيس الى بلخ وهى مدينة طلخارا فصالح أهلها على أربعمائة ألف درهم فاستعمل عليها أرسيد بن المتشمس، وتابع مسيره إلى خوارزم، فلم يقدر عليها، فرجع أرسيد بن المتشمش إلى بلخ فعمد إلى جمع مال الصلح منها

ولما تم لعبدالله بن عامر هذا الفتح فى أنحاء خراسان قال له الناس:

ـ ما فتح الله لأحد مثل ما فتح الله عليك

فقال عبدالله بن عامر:

ـ لا جرم ـ حقا ـ لأجعلن شكرى لله على ذلك أن أخرج محرما من موقفى هذا

فأحرم عبدالله بن عامر من نيسابور بعمرة وجعل على ولاية خراسان قيس بن الهيثم، ثم قدم عبدالله بن عامر على أمير المؤمنين عثمان بن عفان

فتح اصطخر

وهى بلدة فى بلاد فارس، وفيها مدن وقرى كثيرة أشهرها:

البيضاء، نيريز، أبرقوه، ويزد وغيرها

كما كان فيها خزائن الملوك قبل الاسلام

وفى دارابجرد ـ احدى قرى اصطخر ـ **معدن الزئبق**

وفى اصطخر وضع هيستاسب كتاب زرادشت نبى المجوس ـ كما يزعمون ـ لما كانت فى عظمتها

واصطخر فى قديم الزمان تعرف باسم: برسيولس، وكانت دار سلطنة بلاد فارس، وفيها كثير من الآبار

فلما جاء الإسلام كان أول من غزا هذه البلاد العلاء بن الحضرمى فى خلافة

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سنة ١٧ من الهجرة، حيث سار العلاء بجيشه بحرا
وخرجوا باصطخر فقاتلهم أهلها قتالا شديدا، كان نهايته هزيمة أهل فارس باصطخر

وفى نفس السنة دخل أبو موسى الأشعرى - عبدالله بن قيس - بلاد فارس

وأعطى لواء حرب فارس باصطخر إلى عثمان بن أبى العاص الثقفى فوزع الألوية على رجاله

والتقى المسلمون وأهل اصطخر بجور فتقاتلوا وانهزم الفرس، وفتح المسلمون جور ثم اصطخر وقتلوا كثيرا من أهلها، وفر بعضهم، فدعاهم عثمان بن أبى العاص إلى الصلح مع دفع الجزية فأجابه الهربذ بالموافقة

وتراجع الجمعان عن القتال - وكان ذلك سنة ١٨ من الهجرة - وقيل بعد ذلك.

وفى عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان **نقض أهل اصطخر الصلح وغدروا** بالمسلمين، فلما بلغ الخبر عبدالله بن عامر سار إليهم بجيش كثيف والتقوا باصطخر وانهزم الفرس وقتل منهم كثير، وتم فتح اصطخر عنوة

ثم قدم عبدالله بن عامر بجيشه **دارابجرد وقد غدر أهلها أيضا** ففتحها ابن عامر وأتى عبدالله بن عامر **إلى جور ففتحها عنوة أيضا**

وعاد عبدالله بن عامر إلى اصطخر بعد أن غدرت بالمسلمين ونقضت العهد فحاصرها واشتد القتال على أهلها ورماهم بالمنجانيق فقتل من أهلها خلق كثير وأفنى أكثر أهل بيوتها ووجوه الأساودة - جماعة من الفرس - الذين كانوا قد لجأوا اليها.

وقد قيل: إن ما يقرب من أربعين ألفا قد قتلوا

ثم استخلف عبدالله بن عامر على اصطخر شريك بن الأعور الحارثى فبنى مسجدها

*** فتح كرمان**

لما سار عبدالله بن عامر إلى بلاد فارس، قدم مجاشع بن مسعود السلمى إلى **كرمان، وكان أهلها قد نقضوا عهد الصلح وغدروا بالمسلمين**

ففتح مجاشع بيمنت عنوة واستبقى أهلها، وأعطاهم أمانا على أنفسهم وأموالهم

وبنى قصرا يعرف بقصر مجاشع

وفتح مجاشع بن مسعود بروخروة، وأتى الشيرجان وهى مدينة كرمان فحاصرها أياما بعد أن تحصن أهلها، ثم خرجوا للقاء المسلمين وهم يركبون الخيل **فقاتلهم مجاشع بن مسعود قتالا مريرا حتى ظفر بهم، وتم له فتحها عنوة**

وهرب كثير من أهل كرمان حتى ركبوا البحر، ولحق بعضهم بمكران، ودخل بعضهم سجستان فاقتسم المسلمون منازلهم وأراضيهم فعمروها بالبناء والزراعة فيها، وأدوا العشر

وحفروا قنوات فى مواضع عديدة من أراضيهم

فتح سجستان

تقع ولاية سجستان فى الجنوب الغربى من أفغانستان

لما نقض أهل سجستان عهد الصلح وغدروا بالمسلمين كما فعل أهل خراسان وغيرهم حين بلغهم مقتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

ولما بايع المسلمون ذا النورين جعل عبد الله بن عامر واليه على البصرة،فتوجه ابن عامر إلى خراسان،وسير الربيع بن زياد الحارثى إلى سجستان، فأتى الربيع بن زياد حصن زالق فأغار على أهله فى يوم مهرجان لهم، فأخذ دهقانه، فافتدى نفسه بأن ركز عنزة ـ عصا ـ ثم غمرها ذهبا وفضة وصالح الدهقان على حقن دمه وصالحه على صلح أهل فارس،

ثم سار حتى وصل قرية يقال لها: كركوية تبعد عن زالق خمسة أميال فصالحه أهلها على غير قتال، ثم جاء إلى زالق وأخذ من يدلُّه إلى زرنج، وسار حتى وصل الهندمند، وأتى ازدشت، وهى من زرنج على ثلثى ميل فخرج إليه أهلها فقاتلوه قتالا شديدا، وأصيب عدد من جيش المسلمين، **ثم كر المسلمون على أهل زدشت وهزموهم شر هزيمة حتى اضطروهم إلى دخول المدينة بعد أن قتلوا منهم مقتلة عظيمة.**

ثم أتى بن زياد ناشروذ وشرواذ ـ وهما قريتان من قرى زرنج ـ فظفر بهما وتغلب على أهلها، ثم حاصر مدينة زرنج بعد أن قاتل أهلها فأرسل إليه أبرويز مرزبانها يستأمنه ليصالحه.

فتم الصلح على ألف وصيف مع كل واحد منهم جام ـ قمقم ـ من ذهب.

ثم دخل المسلمون مدينة زرنج.

ثم أتى الربيع بن زياد سناروذ مغبره ـ واد فى سجستان ـ وأتى القريتين، فقاتل أهلها. فتغلب عليهم وظفر بهم.

ثم عاد إلى زرنج وأقام بها سنتين، ثم استخلف عليها عبد الله بن عامر رجلا من بنى الحارث بن كعب، فأخرجوه وأغلقوها دون المسلمين.

ثم ولى عبد الله بن عامرعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب سجستان، فأتى زرنج وحاصر مرزبانها فى قصره فى يوم عيد لهم، فصالحه على مال كثير.

وتغلب ابن سمرة على أهل فارس ما بين زرنج وكش من ناحية الهند، كما تغلب عليهم من ناحية طريق الرخج على ما بينه وبين بلاد الداور، ولما وصل عبد الرحمن بن سمرة بلاد الداور حاصرهم فى جبل الزور ثم صالحهم.

ودخل عبد الرحمن بن سمرة على **الزور** ـ وهو صنم من ذهب عيناه ياقوتتان فقطع يده وأخذ الياقوتتين، ثم قال للمرزبان:

ـ دونك الذهب والجوهر، وإنما أردت بعملى هذا أن أعلمك أنه لا يضر ولا ينفع.

وفتح عبد الرحمن بن سمرة كابل وازابلستان.

وأتى عبد الرحمن بن سمرة زرنج فأقام بها.

*** خروج الترك مع ملكهم على المسلمين.**

خرجت جموع من الترك جهة خراسان فى أربعين ألف رجل عليهم ملكهم قارن تريد حرب المسلمين، فوصل إلى الطبسين وهناك اجتمع له أهل باذغيس وهراة

وقهستان، وكان على ولاية خراسان من قبل عبد الله بن عامر عبد الله بن خازم.

فخرج عبد الله بن خازم للقاء الترك وتأديبهم على فعلتهم فى أربعة آلاف رجل وقال لهم:

ـ احملوا معكم الودك ـ وهو الدسم الذى يستحلب من اللحم والشحم أى الدهن ـ

فلما اقترب جيش المسلمين من جيش الترك وعليهم قارن، أمر عبد الله بن خازم أفراد جيشه أن يربط كل واحد منهم على زج رمحه ـ زج الرمح: رأسه أو طرفه ـ خرقة أو شيئا من قطن ثم يكثروا عليه مما معهم من الدهن.

وسار ابن خازم بجيشه حتى المساء، فقدم مقدمته وكان عددهم سبعمائة مقاتل، ثم أردفهم بباقى الجيش وقال:

ـ أشعلوا النار فى أطراف الرماح ـ حيث كان الدهن ـ

ووصلت مقدمة جيش المسلمين إلى معسكر قارن قريبا من منتصف الليل **فتناوشوا، فهاج الترك وماجوا فقد كانوا فى مكان آمن لا يتوقعون أن يصل إليهم أحد.**

ولما دنا ابن خازم منهم ورأوا النيران يمنة وميسرة، تتقدم تارة وتتأخر أخرى، وتنخفض حينا وترتفع حينا آخر ركبهم الخوف والذعر .

وتقدم ابن خازم فحمل عليهم حملة رجل واحد. فراح المسلمون يعملون **فيهم القتل والطعن حتى كان فيهم مقتلة عظيمة وقتل ملكهم قارن.**

وانهزم الترك وأتبعهم المسلمون يقتلون منهم كيف شاءوا، ويصيبوا بالأسر كيف شاءوا وسبوا منهم كثيرا من نسائهم وذراريهم.

وكتب عبد الله بن خازم إلى عبد الله بن عامر يخبره بما فتح الله عليه فنال رضاه.

وأمر عبد الله بن عامر عبد الله بن خازم ولاية خراسان.

وكانت هذه الخدعة الحربية التى استخدمها عبد الله بن خازم باشعال النيران بأطراف الرماح ومداهمة العدو ليلا، هى الأولى من نوعها فى التاريخ الإسلامى ، وكان مبتكرها عبد الله بن خازم، وقد فزع العدو لرؤيتها، وهالهم أمرها فكانت العامل الأول والسبب المباشر لانتصار المسلمين على الترك فى هذه الموقعة.

*****

فتح شمال أفريقيا

*** البربر**

يطلق على الأقاليم العربية الواقعة غربى مصر: اسم المغرب، وهى واقعة فى شمال أفريقيا وقد احتك العرب لأول مرة بأهالى هذه البلاد أيام خلافة الفاروق، وذلك بعد فتح مصر ما بين سنة ٢٢ من الهجرة إلى سنة ٢٦ من الهجرة. كما عرف العرب أهالى شمال أفريقيا قبل الفتح باسم البربر، ويتألف البربر من جماعتين كبيرتين:

الأولى اسمها: البرانس.

الثانية اسمها: البتر.

وتضم كل جماعة من هاتين الجماعتين عددا من القبائل، وكل مجموعة متفاوتة عن غيرها بالعدد.

ويبدو أن جماعات البربر تكونت من الشعوب التى هاجرت إلى شمال أفريقيا خلال الحقب التاريخية المديدة من آسيا ومن البلاد العربية، ومن مصر، ومن أوربا.

وحين قدم العرب المسلمون لفتح هذه البلاد وجدوا أهلها البربر متشابهين فى العادات وأنماط العيش وبعض الطباع، **كما كان سكان تلك البلاد بعضهم يدين بالمسيحية وبعضهم يدين بالوثنية وتنتشر هذه فى أغلب المناطق.**

*** فتح طرابلس الغرب.**

بعد أن فرغ عمرو بن العاص من فتح الإسكندرية سنة ٢٢ من الهجرة زحف بجيشه **نحو ليبيا**، فسار نحو **برقة** .. فصالحه أهلها على الجزية وأن يبيعوا من أبنائهم من أرادوا بيعه.

ولما فرغ أبو عبد الله من برقة سار إلى طرابلس الغرب فحاصرهاشهرا فلم يظفر بها، وكان قد نزل شرقيها، فخرج رجل من بنى مدلج يتصيد فى سبعة نفر وسلكوا غرب المدينة، فلما رجعوا اشتد عليهم الحر فأخذوا على جانب البحر،

ولم يكن السور متصلا بالبحر، وكانت سفن الروم فى مرساها مقابل بيوتهم، فرأى المدلجى وأصحابه مسلكا بين البحر والبلد فدخلوا منه وكبروا:

ـ الله أكبر الله أكبر

فلم يكن للروم ملجأ إلا سفنهم، فقد ظنوا أن المسلمين قد دخلوا البلد.

ونظر عمرو بن العاص ومن معه فرأى السيوف فى المدينة وسمعوا الصياح، فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم البلد، فلم يفلت من الروم إلا بما خف معهم فى مراكبهم.

وكان أهل حصن سبرة قد تحصنوا لما نزل عمرو بن العاص على طرابلس، فلما امتنعوا عليه بطرابلس أمنوا واطمأنوا، فلما فتحت طرابلس جَنَّدَ عمرو بن العاص عسكرا كثيفا وسيره إلى سبرة، فصبحوها وقد فتح أهلها الباب وخرجوا مع مواشيهم لتسرح، فلم يكن قد بلغهم خبر طرابلس، فوقع المسلمون عليهم، ودخلوا البلد مكابرة وغنموا ما فيه، ثم عادوا إلى عمرو بن العاص.

ثم فتح عمرو بن العاص **لبدة وصبراته** وانتزع هذه المناطق من البيزانطين، وأخذ يوجه بعوثه وسراياه فى غزوات عديدة نحو الداخل لاخضاع القبائل، وللقيام باستطلاع فى عمق البلاد نحو تونس.

وكتب عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يخبره بما فعل من انجازات ويستأذنه بمتابعة الزحف، **لكن الفاروق رفض أن يأذن له وقال**:

ـ لا إن افريقيا غادرة مغدور بها.

لقد كان لدى العرب خطة للزحف والتوغل فى شمال افريقيا، وكان لديهم معلومات، كافية وافية عن الأرض والسكان.

ولما توفى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وبايع المسلمون ذا النورين قام أمير المؤمنين عثمان بن عفان بعزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر وولاهما لعبد الله ابن أبى سرح

*** عثمان بن عفان يأذن بالفتح**

كان عبد الله بن سعد بن أبى سرح من جند مصر وأمينا على خراج أموالها،

سيره عمرو بن العاص إلى أطراف افريقيا غازيا بأمر أمير المؤمنين عثمان بن عفان **سنة خمس وعشرين للهجرة**، فلما سار إليها أمده عمرو بن العاص بالجند فغنم هو وجنده، فلما عاد عبدالله بن سعد كتب إلى أخيه من الرضاعة عثمان بن عفان يستأذن **فى غزو افريقيا** . . **فأذن له فى ذلك** وقال له:

ـ إن فتح الله عليك فلك من الفىء خمس الخمس نفلا.

وأمر عبد الله بن نافع بن عبد القيس، وعبد الله بن نافع بن الحارث على جند وأرسلهما إلى مصر، وأمرهما بالاجتماع مع عبدالله بن سعد صاحب افريقيا، فخرجوا حتى قطعوا أرض مصر

وأخذ عبدالله بن سعد بن أبى سرح والى مصر والمغرب يبعث سرايا المسلمين الذين يمتطون ظهور خيولهم ويسيرون بها نحو افريقيا فيصيبون من أطرافها بعض الغنائم، ويستطلعون الأرض والسكان.

وعندما أكملت هذه القوات أعمالها الإستطلاعية، بعث عبدالله بن أبى سرح إلى عثمان يستأذنه فى غزو افريقيا ويطلب منه امداده بالجند

وكانت افريقيا آنذاك تحكم من قبل البيزانطيين

وأمد أمير المؤمنين عثمان بن عفان عبدالله بن سعد بن أبى سرح بجيش اهتم به كل الإهتمام يحوى مشاهير الرجال وعددا من الصحابة وأبناء كبارهم مثل: **عبدالله بن عمر، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن جعفر بن أبى طالب، والحسن والحسين، كما كان فيه مروان بن الحكم، ومعبد بن العباس عبدالمطلب، وعبدالرحمن بن أبى بكر و .. و .. وكثير غيرهم.**

سار عبدالله بن أبى سرح بجيشه حتى وصل برقة، فلقيهم عقبة بن نافع ومن معه من المسلمين وسار بهم نحو طرابلس الغرب فى جيش تعداده أربعون ألفا من المقاتلين، فنهبوا من عندها من الروم وسار نحو شمال افريقيا، وبث سراياه فى كل ناحية فيها.

وكان ملكهم اسمه جرجير، وملكه من طرابلس إلى طنجة، وكان هرقل ملك الروم قد ولاه افريقيا فكان يحمل إليه الخراج كل سنة ـ كان جرجير قائدا لجيش الإمبراطور فثار عليه وأعلن استقلاله عنه ـ واتخذ من مدينة سبيطة ـ تبعد عن

القيروان سبعون ميلا ـ مقرا لملكه وهى مدينة منيعة فى غاية الحصانة.

لما بلغ الملك جرجير خبر المسلمين تجهز وجمع جنده وعساكره من أهالى تلك البلاد من قبائل البربر، **فبلغ عسكره مائة وعشرين ألف مقاتل.**

والتقى الجيشان **فى مكان بينه وبين مدينة سبيطة يوم وليلة** وكان جيش المسلمين هناك يقاتل كل يوم مع كل صباح، ومن شروق الشمس إلى الظهر

وأرسل عبدالله بن سعد بن أبى السرح إلى الملك جرجير يدعوه إلى الإسلام أو الجزية، فامتنع عن قبول أحدهما.

*** أمير المؤمنين عثمان بن عفان يبعث عبدالله بن الزبير**

لما انقطع خبر المسلمين عن ذى النورين سير عبدالله بن الزبير فى جماعة إلى عبدالله بن سعد بن أبى سرح ليأتيه بأخبارهم

فسار ابن الزبير مجدا يتابع ليله نهاره حتى وصل إليهم، فلما وصل عبدالله ابن الزبير ومن معه كثر الصياح وعلت الأصوات بالتكبير، فسأل الملك جرجير:

ـ ما الخبر؟

فقيل له:

ـ أتاهم عسكر

فكان لهذا الخبر أثره لدى جرجير فقد فت فى عزمه ودخل الرعب قلبه وأخذ يسرى فى أوصاله حتى ضعف وخارت قواه

لما وصل ابن الزبير إلى عبد الله بن سعد لم يره، فسأل عنه:

ـ أين ابن أبى سرح؟

قالوا:

ـ إنه سمع منادى الملك جرجير يقول: من قتل عبدالله بن سعد فله مائة ألف دينار وزوجته ابنتى ـ يعنى ابنة جرجير ـ وهو يخاف على نفسه.

فجاء عبدالله بن الزبير عبدالله بن سعد وهو فى خيمته وقال له:

ـ تأمر مناديا ينادى: من أتانى برأس جرجير أعطيته مائة ألف وزوجته ابنته ـ ابنة جرجير ـ واستعملته على بلاده

ففعل ذلك

فصار الملك جرجير يخاف أشد من عبدالله بن أبى سرح.

ولما رأى عبدالله بن الزبير حال القتال، وأن الطرفين يقاتلان من الصباح إلى الظهيرة قال لعبدالله بن سعد:

- إن أمرنا يطول مع هؤلاء، فهم فى أمداد متواصلة، وبلادهم لهم، ونحن منقطعون عن المسلمين

قال ابن أبى سرح:

- ماذا ترى؟

قال ابن الزبير:

- أرى أن نترك غدا جماعة صالحة من أبطال المسلمين فى خيامهم متأهبين، ونقاتل نحن الروم فى باقى العسكر إلى أن يضجروا ويملوا، فاذا رجعوا إلى خيامهم ورجع المسلمون ركب من كان فى الخيام من المسلمين ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون ونقصدهم على غرة فلعل الله ينصرنا عليهم.

فقال عبد الله بن سعد:

- تقصد أن نقسم جيشنا قسمين؟ قسم يقاتل وآخر يكتسب مزيدًا من الراحة.

قال ابن الزبير:

نعم

فأحضر جماعة من أعيان الصحابة **واستشارهم فوافقوه على ذلك.**

فلما كان الغد فعل عبدالله بن الزبير ما اتفقوا عليه، وأقام جميع شجعان المسلمين فى خيامهم وخيولهم عندهم مسرجة، ومضى الباقون فقالتلوا الروم إلى الظهر قتالا شديدا.

فلما أذن بالظهر هم الروم بالإنصراف على العادة، فلم يمكنهم عبدالله بن الزبير وألح عليهم بالقتال حتى أتعبهم، ثم عاد عنهم هو والمسلمون، وقد ألقى كل من الطرفين سلاحه تعبا.

عندئذ أخذ عبدالله بن الزبير من كان من شجعان المسلمين وأبطالهم وقصدوا

الروم فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم وحملوا عليهم حملة رجل واحد وكبروا فلم يتمكن الروم من لبس سلاحهم حتى غشيهم المسلمون وأوقعوا بهم هزيمة ساحقة، وانتصر المسلمون نصرا مؤزرا وغنموا منهم كثيرا مما لا يحصيه العد.

وأصاب عبدالله بن الزبير الملك جرجير وأخذت ابنته سبية

وتحدث عبدالله بن عباس مع الملك جرجير وأعجب الملك بحديث ابن عباس ومنطقه وغزارة علمه فقال:

ـ ما ينبغى إلا أن تكون حبر العرب ـ الحبر: العالم الصالح الذى يستعمل الحبر عندما يكتب ـ

فكان الملك جرجير أول من أطلق على عبدالله بن عباس لقب حبر العرب

ومات الملك جرجير متأثرا بجراحه

ثم بعث عبدالله بن سعد بن أبى سرح جيوشه فى البلاد حتى بلغت قفصة ـ بلدة صغيرة بينها وبين القيروان ثلاثة أيام ـ وقد احتمى أهل تلك البلاد فى حصن الأجم فحاصره ابن سعد وفتحه بالأمان بعد أن صالح أهل افريقيا على كثير من المال ـ تمت المصالحة على أن يدفع البيزانطيون ثلاثمائة قنطار من الذهب على أن يكف عنهم ويخرج من بلادهم ـ

وأرسل عبدالله بن أبى سعد إلى أخيه عثمان بن عفان يبشره بما فتح الله عليه وكان ذلك سنة سبع وعشرين للهجرة.

وقيل:

إن ابنة الملك جرجير التى كانت تحارب مع أبيها تحسن ركوب الخيل وتجيد استعمال السلاح، قد نفلها ابن سرح عبدالله بن الزبير الذى سار إلى أمير المؤمنين عثمان بالبشارة بفتح افريقيا.

وقيل:

إن ابنة الملك جرجير وقعت فى سهم رجل من الأنصار فأركبها بعيرا وارتجزبها يقول:

يا ابنة جرجير تمشى عقبتك إن عليك بالحجازربتك

لتحملن من قباء قربتك

وعاد عبدالله بن أبى سرح إلى مصر، وكان مقامه فى افريقيا سنة وثلاثة أشهر

وحمل خمس افريقيا إلى مدينة رسول الله ﷺ فاشتراه مروان بن الحكم بخمسمائة ألف دينار . . فوضعها عنه ذو النورين وكان هذا مما أخذ على أمير المؤمنين **عثمان بن عفان**.

وقيل:

أعطى أمير المؤمنين عثمان بن عفان خمس افريقيا عبدالله بن أبى سرح

وقيل:

أعطاه مروان بن الحكم

*** انتقاض افريقيا وفتحها ثانية**

لما آلت الخلافة إلى معاوية بن أبى سفيان صارت ولاية مصر لحليفه عمرو بن العاص فعاد النشاط من جديد لاستئناف حركة الفتوحات الإسلامية.

ففى السنة الحادية والأربعين للهجرة ولى عمرو بن العاص ابن خالته عقبة بن نافع الفهرى على افريقيا، فقام عقبة بن نافع إثر ذلك بعدة غازات فى داخل افريقيا على مدى ثلاثة أعوام متتالية

وفى السنة الرابعة والأربعين للهجرة توفى عمرو بن العاص بن وائل السهمى

وكان هرقل ملك القسطنطينية يؤدى إليه كل ملك من ملوك النصارى الخراج من مصر وافريقيا والأندلس وغير ذلك

ولما صالح أهل افريقيا عبدالله بن أبى سرح، أرسل هرقل بطريقا له وأمره أن يأخذ منهم مثل ما أخذ المسلمون، فنزل البطريق فى قرطاجة وجمع أهل افريقيا وأخبرهم بما أمره الملك فأبوا عليه وقالوا:

ـ نحن نؤدى ما كان يؤخذ منا، وقد كان ينبغى له أن يسامحنا لما ناله المسلمون منا

وكان قد قام بأمر افريقيا رجل آخر من الروم بعد قتل الملك جرجير، فطرد البطريق هذا الرجل الرومى بعد فتن كثيرة فسار إلى الشام ولقى معاوية بن أبى سفيان ووصف له افريقيا وطلب أن يرسل معه جيشا فسير معاوية بن أبى سفيان معاوية بن خديج السكونى

ولما وصل معاوية بن خديج الاسكندرية هلك الرجل الرومى فمضى معاوية ابن خديج إلى افريقيا وسار إلى برقة وطرابلس الغرب

ولما توغل معاوية بن خديج فى منطقة قرب القيروان علم بنزول حملة بيزنطية بين سفاقس وسوسة، وهى منطقة تعرف **بالساحل لكثافة غابات الزيتون فيها**

وتمكن معاوية بن خديج وجيشه من طرد البيزنطيين وتمكن من فتح عدد من المواقع

وأرسل البطريق جيشا عدده ثلاثين ألف مقاتل، فلما سمع معاوية بن خديج بهم سير إليهم جيشا من المسلمين فقاتلوهم .. فانهزمت الروم وحصر حصن جلولاء فلم يقدر عليه، فانهدم سور الحصن فملكه المسلمون وغنموا ما فيه

وبعث معاوية بن خديج سراياه وأرسل الغارة داخل افريقيا أكثر من عام فسكن الناس وأطاعوا . . .وعاد معاوية بن خديج إلى مصر

*** بناء القيروان**

فى سنة **خمسين للهجرة** وجه معاوية بن أبى سفيان عقبة بن نافع إلى افريقيا فخط القيروان وأتم بناءها

فكانت أول مدينة اسلامية فى تونس، وأقام عقبة بن نافع بها ثلاث سنين، وكان لبنائها أثر بعيد فقد خططها لتكون عاصمة الولاية فى المغرب ومركزا للجيش وقاعدة عربية متقدمة للفتوحات فى المغرب **ومركز اشعاع** أساسى لنشر الإسلام ولتعريب الأرض والسكان

وقيل:

إن عقبة بن نافع لما تم بناء القيروان جمع عسكره ودار بهم حولها وهو يدعو:

ـ اللهم املأها علما وفقها، واعمرها بالمطيعين والعابدين واجعلها عزا لدينك، وذلا لمن كفر بك، وأعز بها الاسلام، وامنعها من جبابرة الأرض.

*** وفاة عقبة بن نافع**

فكر عقبة بن نافع فى العودة فأرسل العدد الأكبر من جنوده وقواته مع الغنائم،وبقى عقبة فى قوة صغيرة من جنده، وكان معه أحد زعماء البربر ويدعى **كسيلة**، استطاع كسيلة أن يهرب ويقوم بحشد رجال قبيلته وعقد تحالفا مع البيزنطيين

ولما اقترب عقبة بن نافع من القيروان سعى للوصول إلى مدينة تهودة فحاصره مدة فأعطى حصاره هذا الفرصة لكسيلة للتحرك وقطع الطريق أمام عقبة بن نافع.

وقرب مدينة تهودة وعلى حين غفلة وجد عقبة بن نافع نفسه أمام جموع غفيرة، فلم يتردد عقبة بن نافع فى الإلتحام مع جموع كسيلة فى معركة انتحارية **سقط فيها عقبة بن نافع شهيدا.**

ودفن عقبة بن نافع فى مدينة تهودة، وبعد فترة غلب اسمه على الاسم القديم للمدينة فأصبحت تهودة تعرف باسم: **سيدى عقبة**

*** سقوط القيروان**

استطاع كسيلة بما معه من جموع أن يدخل القيروان وأن يتبعها لحكمه وسلطانه، وقد جاء مصرع عقبة بن نافع فى الوقت الذى توفى فيه يزيد بن معاوية مما أدى إلى قيام الحروب الأهلية فى الشام

*** محاولة عبدالملك بن مروان انقاذ القيروان**

لما آلت الخلافة لعبدالملك بن مروان، أسرع إلى زهير بن قيس البلوى نائب عقبة بن نافع الذى انسحب من القيروان ورابط فى برقة، فبعث إليه يأمره بالخروج على أعنة الخيل إلى افريقيا لينقذ القيروان ومن فيها من المسلمين.

وكتب زهير بن قيس البلوى لعبدالملك يعلمه كثرة من اجتمع إلى **كسيلة** من البربر والروم ويطلب المدد من الرجال والمال.

فاستجاب عبدالملك بن مروان لطلبه وأوعز إلى أخيه عبدالعزيز بن مروان واليه على مصر بتوجيه إليه وجوه أهل الشام ومعهم كثير من الأموال، وكان هذا سنة ٦٩ من الهجرة.

وزحف زهير بن قيس البلوى باتجاه القيروان، وعندما اقترب منها انسحب كسيلة منها وعسكر فى مكان يسمى حمش على بعد يوم واحد من القيروان

والتقى الجيشان فى حمش، وحمى وطيس المعركة، وكثر القتلى من الجانبين حتى يئس الناس من الحياة وأنزل الله سكينته على جنده فصبروا **حتى قتل كسيلة** فانهزم من كان معه

وقام جيش زهير بن قيس بمطاردة **وملاحقة فلول جيش كسيلة**

وبسط الهدوء جناحيه على المغرب واستمر ذلك حتى سنة ٧١ من الهجرة حيث رحل زهير بن قيس البلوى إلى المشرق.

*** مقتل زهير بن قيس البلوى**

علم زهير بن قيس أن بيزنطة أنزلت قوات أغارت على برقة وغيرها من المناطق مستغلة بذلك غياب زهير بن قيس البلوى، وأصاب البيزنطيون سبيا وأموالا للمسلمين كثيرة، فلما رآهم زهير بن قيس على هذه الحال واستغاث به المسلمون وصاحوا يستنجدونه، ونادى بأصحابه:

ـ النزول رحمكم الله

فنزلوا

فنزل إليهم فتلقوهم بعدد كثيف

واشتد القتال، وتكاثر الروم على المسلمين، ودارت رحى الحرب تأكل وتطحن من الفريقين حتى قتل زهير بن قيس ومن معه ولم ينجوا واحد من المسلمين .. رحمهم الله

ولما وصلت أنباء مصرع زهير بن قيس البلوى وصحبه إلى عبدالملك بن مروان وكان مشغولا بحرب عبدالله بن الزبير، عظم عليه الخبر وكانت مصيبته لديه مثل مصيبة عقبة بن نافع شديدة الوقع والأثر.

*** الكاهنة**

بعد أن فرغ عبدالملك بن مروان من حرب ابن الزبير وتوطدت أمور الدولة له، اتجه بكُلِّيته نحو المغرب، فجهز جيشا كبيرا أعطى قيادته لحسان بن النعمان الغسانى، فسار إلى مصر ومنها إلى طرابلس الغرب، ثم توجه إلى قرطاجنة، وذلك للقضاء نهائيا على الوجود البيزنطى فى المغرب، وبهذا يزيل من الوجود القوى العسكرية البيزنطية النظامية، فاذا نجح فى ذلك سهل عليه ما بقى وهو: ما بقى قوات البربر.

ونجح حسان بن النعمان الغسانى فى قهر قوات قرطاجنة بعد عدة لقاءات

دموية مضنية ودان له المغرب بأكمله.

غير أن حسان بن النعمان الغسانى سمع بقيام تحالف بين كاهنة من قبائل أوراس تحت زعامة امرأة عرفت بالكاهنة

والتقى جيش حسان بن النعمان وجيش الكاهنة . . لكنه هُزم وانسحب بجيشه نحو طرابلس فأقام فيها مدة خمس سنوات، ولما وصلته امدادات كبيرة من الشام، عاود حسان بن النعمان الغسانى القتال مع قوات الكاهنة . . ولكن فى هذه المرة نصر القوى العزيز جنده وقتلت الكاهنة وأكثر من كان معها وفر الباقون من قبائل البربر فخلص المغرب للعرب، ودخلت أعداد كبيرة من سكانه فى الإسلام، ونعمت البلاد بقسط وافر من الراحة والأمان والإستقرار، وأخذ العرب المسلمون ينظمون أحوال البلاد ويقيمون ادارة خاصة بها.

*** عزل حسان بن النعمان الغسانى، وتولية موسى بن نصير**

تسلل الضيق إلى صدر عبدالعزيز بن مروان ـ أخو الخليفة عبدالملك بن مروان وأبو الخليفة العادل عمر ـ من النجاحات التى حققها حسان بن النعمان الغسانى والإنتصارات الباهرة التى قام بها فعمد إلى عزله وتولية موسى بن نصير مكانه، وكان هذا سنة ٨٤ من الهجرة

وجاءت ولاية موسى بن نصير للمغرب بعد حسان بن النعمان حدثا حاسما فى التاريخ فقد نشط موسى بن نصير نشاطا عسكريا كبيرا أوصله إلى أقصى المغرب، ومكنه من الحصول على طاعة جميع قبائل المغرب واعلان قبولها الإسلام، كما استطاع تصفية جميع جيوب وخلايا وفرق المقاومة البيزنطية أو البربرية فى جميع مدن وقلاع المغرب.

ولم ينشط موسى بن نصير فى تقدمه برا فحسب، بل قامت بعض قواته بغارات عديدة على سواحل صقلية وشبه الجزيرة الايبيرية.

وبعد أن اطمأن ودان المغرب جميعه لموسى بن نصير، وجمع كثيرا من الأموال والغنائم والأسلاب

أخذ يخطط لفتح جديد . . عرف فيما بعد **بفتح الأندلس**

*****

فتح قبرص

فى سنة ثمان وعشرين من الهجرة كان فتح قبرص على يد معاوية بن أبى سفيان فى عهد ذى النورين

وقيل:

سنة ثلاث وعشرين

وقيل:

سنة ثلاث وثلاثين

وقيل:

إنما غزيت سنة ثلاث وثلاثين **لأن أهلها غدروا فغزاها المسلمون**، ولما غزاها معاوية بن أبى سفيان هذه السنة غزا معه جماعة من الصحابة فيهم: أبوذر الغفارى، وعبادة بن الصامت ومعه زوجته أم حرام بنت ملحان، وأبو الدرداء، وشداد بن أوس

وكان معاوية بن أبى سفيان قد ألح على الفاروق فى غزو البحر وقرب الروم من حمص وقال:

- إن قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم

فكتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص:

صف لى البحر وراكبه

فكتب عمرو بن العاص:

إنى رأيت خلقا كبيرا يركبه خلق صغير، ليس إلا السماء والماء، إن ركد خرق القلوب، وإن تحرك أزاغ العقول، يزداد فيه اليقين قلة، والشك كثرة، هم فيه كدود على عود، إن مال غرق، وإن نجا برق.

فلما قرأه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كتب إلى معاوية:

والذى بعث محمدا ﷺ بالحق لا أحمل فيه مسلما أبدا، وقد بلغنى أن بحر الشام يشرف على أطول شىء من الأرض فيستأذن الله فى كل يوم وليلة فى أن

يغرق الأرض، فكيف أحمل الجنود على هذا الكافر؟ وبالله لمسلم أحب إلى مما حوت الروم، وإياك أن تعرض إلى فقد علمت ما لقى العلاء منى ـ كان العلاء بن الحضرمى على ولاية البحرين فطلب من الفاروق أن يفتح جزءا من بلاد فارس عن طريق البحرين فنهاه أمير المؤمنين عمر عن ذلك لشدة حذره وخوفه على المسلمين، ولكن العلاء بن الحضرمى لم يلق إلى رفض الفاروق التفاتا وانطلق بجيشه إلى بلاد فارس الذين حرقوا سفنه وحاصروه لولا أن أرسل الفاروق سعد بن أبى وقاص، وعتبة بن غزوان أمير البصرة فسار إليه بجند هزموا الفرس وأنقذوا العلاء ابن الحضرمى ومن معه من أهل البحرين، وغضب أمير المؤمنين عمر غضبا شديدا عليه وعزله وتوعده ـ

وترك ملك الروم الغزو وكاتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وقاربه، وبعثت أم كلثوم بنت على بن أبى طالب زوج عمر بن الخطاب إلى امرأة ملك بنى الأصفر بطيب وشىء يصلح للنساء مع البريد، فأبلغه اياها، فأعدت امرأة ملك الروم إلى أم كلثوم بنت على هدية منها عقد فاخر

فلما رجع البريد أخذ الفاروق ما معه ونادى:

ـ الصلاة جامعة

فاجتمع المسلمون

وأعلمهم أمير المؤمنين عمر الخبر فقال القائلون:

ـ هو لها بالذى كان لها، وليست امرأة ملك الروم بذمة فتصانعك

وقال آخرون:

ـ قد كنا نهدى لنستثيب

قال أمير المؤمنين عمر:

ـ لكن الرسول رسول المسلمين والبريد بريدهم، والمسلمون عظموها فى صدرها

فأمر الفاروق برد هدية امرأة ملك الروم إلى بين المال وأعطى أم كلثوم بنت على بقدر نفقتها

ولما كان فى زمن ذى النورين كتب إليه ابن عمه معاوية بن أبى سفيان يستأذنه فى غزو البحر مرارا، فلما رأى أمير المؤمنين عثمان بن عفان الحاح معاوية بن أبى سفيان واصراره على الغزو **أجابه** وقال:

ـ لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم، خيرهم فمن اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه

ففعل معاوية بن أبى سفيان

واستعمل معاوية عبدالله بن قيس الجاسى حليف بنى فزارة

وسار المسلمون من الشام إلى قبرص

وسار إلى قبرص أيضا عبد الله بن سعد بن أبى سرح من مصر فاجتمعوا عليها . **فصالحهم أهل قبرص على جزية سبعة آلاف دينار كل سنة يؤدون إلى الروم مثلها، لا يمنعهم المسلمون عن ذلك، وليس على المسلمين منعهم ممن أرادهم ممن وراءهم، وعليهم أن يؤذنوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم، ويكون طريق المسلمين إلى العدو عليهم.**

يقول جبير بن نفير:

لما فتحت قبرص ونهب منها السبى نظرت إلى أبى الدرداء ـ سماه خاتم الأنبياء ﷺ حكيم هذه الأمة ـ يبكى فقلت:

ـ ما يبكيك فى يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟

قال حكيم هذه الأمة وهو يضرب جبير بن نفير فى منكبه بيده:

ـ ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره بينما هى أمة ظاهرة قاهرة للناس لهم الملك إذا تركوا أمر الله فساروا إلى ما ترى فسلط عليهم السباء، وإذا سلط على قوم السباء فليس له فيهم حاجة

وفى هذه الغزوة ماتت أم حرام بنت ملحان زوجة عبادة بن الصامت، ألقتها بغلتها بجزيرة قبرص فاندقت عنقها فماتت **تصديقا للسراج المنير ﷺ حيث أخبرها أنها أول من يغزو فى البحر وأنها ستموت شهيدة.**

وبقى عبدالله بن قيس الجاسى على البحر فغزا خمسين غزاة من بين شاتية

وصائفة فى البر والبحر، لم يغرق أحد ولم ينكب، فكان يدعو الله عزوجل أن يعافيه فى جنده

فأجابه

ولما أراد الله أن يصيبه فى جسده خرج فى قارب طليعة فانتهى إلى المرفأ من أرض الروم وعليه مساكين يسألون، فتصدق عليهم، فرجعت امرأة منهم إلى قريتها فقالت للرجال:

ـ هذا عبدالله بن قيس فى المرفأ

فثاروا إليه وهجموا عليه فقتلوه بعد أن قاتلهم فأصيب وحده ونجا الملاح حتى أتى أصحابه فأعلمهم.

*****

فتح القسطنطينية

*** من الذى بناها؟**

بنى القسطنطينية الامبراطور الرومانى قسطنطين الأكبر

*** موقعها**

كان بناء القسطنطينية فى موضع منيع يصعب الوصول إليه، كما يسهل الدفاع عنه

والقسطنطينية تحتل موقعا جغرافيا فقد بنيت على تلال سبعة تشرف على شواطئ البحر أوربا وآسيا، وبذلك أصبحت القسطنطينية همزة الوصل بين الشرق والغرب، وبين البحرين الأسود والأبيض، **وتشرف** على بحر مرمرة بجمالها وروعتها

وتمتاز القسطنطينية بجوها المعتدل واشتهرت بحصونها المنيعة، ومعالمها المشيدة التى وقفت أمام هجمات البربر والروس والبلغار

كما كانت صعبة المنال أمام أطماع الغزاة من العرب والفرس وغيرهم

*** أنظار المسلمين تتوجه إلى القسطنطينية**

كان فتح مدينة القسطنطينية من أكبر أمانى المسلمين منذ أن نشأت دولتهم

وقد حاول المسلمون الاستيلاء على القسطنطينية فاتحين مرارا ـ قبل الفاتح ـ

ففى دمشق كان معاوية بن أبى سفيان يمنى النفس بحرب القياصرة وطردهم من القسطنطينية وفتحها تدعيما وتثبيتا للدولة السفيانية

وكان القتال حول القسطنطينية عنيفا ضاريا دائما، وكانت خسارة المسلمين كبيرة جدا

وفى احدى هذه الحملات المتعددة، وتحت أسوار مدينة القسطنطينية استشهد الصحابى الجليل خالد بن زيد ـ أبو أيوب الانصارى الذى نزل رسول الله ﷺ ضيفا عندما هاجر من مكة إلى المدينة ـ ودفن فيها.

وفى عهد سليمان بن عبدالملك كانت المحاولة الثانية لفتح القسطنطينية، فقد أعد الوليد بن عبدالملك حملة لفتحها وجهزها بتجهيزات عظيمة برية وبحرية . . غير أن كلا المحاولتين باءتا بالفشل، وقام الخليفة مسلمة بن عبدالملك بحملة برية وبحرية على القسطنطينية ولكن كان حظه كسابقيه **من خلفاء الدولة السفيانية**

ثم جاءت الخلافة العباسية فشغلت بسكنى ديار الأكاسرة من حرب القياصرة وفتح مدينتهم

وجاء العثمانيون فقاموا بأول محاولة لهم فحاصروا القسطنطينية وحاولوا فتحها من السلطان بايزيد الأول، لكنه رفع الحصار عن هذه المدينة مضطرا حينما **بلغه غزو التتار لبلاده**

ثم حاصر السلطان مراد الثانى القسطنطينية، لكن لضعف فى اسطوله البحرى، وعدم كفاية تجهيزاته البرية تركها، وتراجع عنها

وفى عام ٢٥٤١ ميلادية مات السلطان مراد الثانى وخلفه السلطان محمد الثانى الذى كان فى الحادية والعشرين من عمره فتاقت نفسه لفتح القسطنطينية

*** حصار القسطنطينية**

عمد **السلطان محمد الثانى** إلى فرض حصار حول مدينة القسطنطينية، وبنى حصنا منيعا لكى يواجه الحصن الذى بناه السلطان بايزيد الأول ـ بنى حصنا منيعا فى مواجهة الحصن الجديد وسماه أناضولى حصار ـ وسماه روميليا حصار، وبوجود الحصنين ـ أناضولى حصار ـ روميليا حصار ـ تستطيع قوات السلطان محمد الثانى الإشراف الكامل على البسفور، وعلى مدخل البحر الأسود، وقد وضع السلطان محمد الثانى فى حصنه الذى بناه الآلات النارية والمدافع والمعدات الحربية والذخائر، كما سيطر بهذا الحصن سيطرة كاملة على بحر مرمرة والاشراف على الطرق البحرية والعتاد بكل أمان وسلام ويسر وسهولة، كما يستطيع بهذا الحصن أن يسيطر سيطرة تامة على بحر مروة والإشراف على الطرق البحرية المؤدية إلى المدينة من الجنوب والشمال فلا تستطيع القسطنطينية أن تتلقى أى مدد عسكرى أو غيره من أى الجهات.

لقد ألقى الحصن الذى بناه السلطان محمد الثانى الذعر والخوف فى قلوب البيزنطيين سكان المدينة وبقية رعايا الدولة.

كما جعل السلطان محمد الثانى على هذا الحصن حامية قوية من جنود اختارهم من أقوى وأقدر جنده لهذا الغرض بقيادة فيروزأغا وأمره بمنع جميع السفن التى تمر بمضيق البوسفور، والتى تمر يفرض عليها اتاوة كضريبة مرور وجهز الحصن بالمدافع القوية التى تجعل ادارته وأوامره محترمة

*** زيارة استطلاعية**

جاء السلطان محمد الثانى بجيش يبلغ خمسين ألفا ووضعهم قرب أسوار مدينة القسطنطينية، **ثم رجع إلى أدرنه**، ولم يقم الاغريق بأية حركة معادية، وكان الغرض من هذه الزيارة القصيرة التى قام بها السلطان محمد الثانى والتى دامت ثلاثة أيام هى الإستطلاع وبحث مواقع القسطنطينية ودراسة قوة الأسوار والابراج فيها، وعمل على منع أَخَوَىْ الامبراطور فى شبه الجزيرة الاغريقية من مده بالمساعدة

كما عمل السلطان محمد الثانى على الاستيلاء على كل الحصون التى لا تزال باقية فى **تراقيا** حتى يحمى مؤخرة جيشه، وكذلك احتل كل المدن الواقعة على البحر الأسود، وبحر مرمرة، واكتسحت جنوده ضواحى العاصمة، فبلغ الذعر والرعب والخوف منتهاه، وعم القلق وساد الاضطراب

وفى نفس الوقت كان الامبراطور قسطنطين وزمرة من الفرسان قد أخذوا فى تحصين المدينة، واعداد مايلزم من وسائل الدفاع عنها بكل ما استطاع من قوة، فأصلحوا الأسوار المتهدمة التى عفى عليها الدهر، وعمل على هدمها وتخريبها هجمات وحملات الغزاة المتكررة، وجمعوا الأسلحة والذخائر على جناح السرعة، كما جمعت المؤن اللازمة، وبعثت البعثات المستنجدة بأوروبا تطلب القوت كما طلبت القوات والعتاد والنجدات **وتبكى حظ المسيحية فى كل مكان فيه للمسيحية سلطان وقوة وناب**

*** المدد يصل الامبراطور**

ثابر السلطان محمد الثانى على تجهيز استعدادته للهجوم على القسطنطينية،

ونظم وسائله فجمع جيشا عظيما بلغ تعداده **ربع مليون مقاتل، وأنشأ أسطولا ضخما وملأ حصونه بالأسلحة والذخيرة لفتح هذه المدينة العظيمة**

واستمرت استعدادات المسلمين والبيزنطيين طوال فصل الشتاء

ووصلت القسطنطينية بعض الإمدات الضعيفة، يقال إنها سفينتان من البندقية ـ مدينة فى ايطاليا ـ استطاعتا عبور البوسفور بصعوبة ومشقة

كما وصل جون جستنيانى الجنوى ـ من مدينة جنوى فى ايطاليا ـ على سفينة محملة بالمؤن والذخائر، ومعها سفينة أخرى على ظهرها خمسمائة مقاتل، فكان مجموع ما فى السفينتين من المقاتلين سبعمائة، فاستقبله الامبراطور استقبالا عظيما، وعينه قائدا للقوات البرية

وعمق أهل المدينة الخنادق الموجودة فى الجهة الشرقية، وكان الامبراطور يعمل على تشجيع جنوده ويقوى الثقة فى أنفسهم وينفخ فى حماسهم وعزيمتهم

وخصص الامبراطور لجون جستنيانى وأتباعه مهمة الدفاع عن النقاط الخطرة والأبواب المهمة

*** السلطان محمد الثانى يعد جيشه للفتح**

ظهر الجيش العثمانى المسلم أمام أسوار مدينة القسطنطينية بين دعاء العلماء والأشراف من آل بيت خاتم النبيين ﷺ ، كان الجيش منظما تنظيما رائعا، وبدت الفرق بجانب بعضها البعض تحمل أعلامها وطبولها وأبواقها، ومعها الخيول والمدافع المكونة من أربع عشرة بطارية وعددها اثنين وستين مدفعا.

كما جعل السلطان محمد الثانى سرادقه على الشاطئ الأيسر لوادى ليكوس، وقد أحاطه بالخنادق، أمام الباب المعروف بباب القديس رومانوس، وسلطت على هذا الباب المدافع القوية والبعيدة المدى، ثم توجه نحو الكعبة المشرفة وصلى ركعتين، كما صلى الجيش كله معه.

ثم جعل الفرق الأناضولية ـ وهى أكثر الفرق عددا ـ ترابط عن يمين السرداق إلى بحر مرمرة، وإلى شمال هذه الفرق وعن يساره عسكرت الفرق الأوروبية إلى القرن الذهبى، والتف الحرس السلطانى حول السلطان، وأسند إليهم مهمة مساندة

الهجوم فى جهة باب القديس رومانوس ـ حيث كانت أضعف نقطة فى الدفاع ـ

واقترب الجيش الإسلامى من الأسوار، وعندئذ طلب السلطان محمد الثانى من الامبراطور قسطنطين تسليم المدينة، وتعهد له بأن يحترم حياة سكانها وممتلكاتها، وذلك حقنا للدماء، ورحمة بسكان المدينة، لكن الامبراطور قسطنطين رفض رفضا باتا طلب السلطان محمد الثانى

فلم يكن أمام السلطان محمد الثانى إلا الحرب.

جعل السلطان قيادة جيشه موزعة على الشكل التالى:

القائد أرغنوس ـ كان من أصل ألبانى أسلم وحسن اسلامه ـ على رأس الجيش غير النظامى الذى يعسكر فى أعالى البيرة ومهمته مراقبة سكان غلطة الجَنَويِّين، كما عليه أن يمنع أى معونة تصل إليهم

وجعل القائد صاريجة باشا على المسيرة وأسند إليه مهمة الهجوم على المدينة من أعالى القرن الذهبى.

اسحاق باشا، محمود باشا جعلهما على جنوده الأسيويين ـ الأناضوليين ـ وكل منهما له الأثر الكبير والخبرة الفائقة فى أمور الحرب

السلطان محمد الثانى، وخليل باشا قيادة الوسط

وكان أسطول السلطان مكونا من حوالى ثلاثمائة سفينة ـ سفن السلطان محمد الثانى مهما كثرت فهى أقل بكثير من عدد وقوة سفن أعدائه ـ ومهمته منحصرة فى منع وصول المساعدة لجيش الامبراطور سواء كانت مساعدات تموينية أو حربية، ومهاجمة السفن المسيحية التى تغلق القرن الذهبى،. والتعاون مع الجيش البرى فى حصار القسطنطينية.

وقد وقف أمام باب القديس رومانوس وأمام الجيش الإسلامى ثمانية آلاف من المدافعين وعدد كبير من سكان المدينة قد جندوا أنفسهم للدفاع عنها وهم وراء الأسوار.

وكانت أهم فرقة من المدافعين البيزنطيين هى فرقة الأجانب مكونة من ثلاثة

آلاف مقاتل وهى تتألف من جنويين وبنادقة - من مدينتى جنوة والبندقية - وعناصر من كريدورد واسبانيا وبعض المرتزقة.

كما عسكر الامبراطور وحشد جنوده فى ناحية وادى ليكوس وهى أضعف نقطة فى الأسوار عند باب القديس رومانوس.

وعقد المجالس الحربية لتنظيم أمور الدفاع عن المدينة، واسند إلى جون جوستنيانى الدفاع عن هذه المنطقة، ولم تكن مدافعهم قوية، ولم يكن باستطاعتهم نصبها على الأسوار التى تريد أن تنقض وتتهاوى بحيث لا تحتمل المدافع ولا طلقاتها.

وتمكن المسلمون - الأتراك - من نصب مدافعهم القوية أمام الأبراج، وأخذوا فى ضرب المدينة ودق أسوارها بقنابل زنتها مئتا رطل، وأخذوا يطلقون مدافعهم بنشاط وحماس منقطع النظير.

وكانت هناك بعض المناوشات فى أول الأمر من ناحية الجيش غير النظامى، فقد كانوا يدخلون ساحة القتال كالأسود الضارية متعرضين للموت متحملين الأخطار والمتاعب مسارعين إلى الهجوم، لذا لم يستطع المحاصرون - البزانطيون - النوم لحظة من الوقت أمام الضرب المتواصل، وأمام خطر الهجوم الذى بات يتهددهم بين اللحظة والأخرى، وأمام الهجوم البحرى الذى قد يقتحم القرن الذهبى.

وقد رأى السلطان محمد الثانى أن يركز الضرب فى منطقة باب القديس رومانس.

وهاجم المسلمون مرارا الأسوار على فم القرن الذهبى . . ولكن دون جدوى

وحاول جند الله حفر سراديب تحت الأسوار . . ونجحوا فى ذلك إلى حد ما، ولكن البيزانطيين تصدوا لذلك.

غير أن محاولات المسلمين أقلقت مضاجع سكان المدينة فكانوا يعيشون فى قلق ورعب خشية أن يدخل المسلمون المدينة كل ليلة بهذه الوسيلة

وأخيرا لجأ السلطان محمد الثانى إلى بناء حصن متحرك سريع أمام الأسوار

مما أدخل الرعب فى قلوب المحاصرين من سكان المدينة، وكان هذا الحصن المتحرك ضد اللهب فلا تستطيع النار أن تحرقه وفى نفس الوقت يصيب كل آلات الرمى والضرب فى المدينة مما جعل المدافعين فى خطر شديد، وقد تمكن هذا الحصن المتحرك السريع أن يحطم أربعة أبراج فامتلأ الخندق مما دفع المسلمون القيام بهجوم عظيم من ناحية باب القديس رومانوس

ولكن المسلمين عادوا إلى الإنسحاب مرة أخرى أمام دفاع البزانطيين اليائسين، وأدى دفاع البزانطيين المستميت إلى تحطيم الحصن المتحرك السريع بأكمله.

*** قسطنطين لا يستطيع تسليم المدينة**

كان السلطان محمد الثانى لا يعرف اليأس يوما ما، ولم يكن للقنوط سبيل إلى نفسه، فعاد إلى اتخاذ خطط جديدة

ركز السلطان محمد الثانى ضرب المدافع الشديدة فى ثلاث نقاط من ناحية باب أدرنة، وباب القديس رومانوس، والثالثة ناحية الباب الثالث الحربى.

وأرسل السلطان محمد الثانى رسوله اسماعيل حمزة اسفنديار أوغلى برسالة إلى الامبراطور قسطنطين يقول فيها:

إنه لا فائدة من الاستمرار فى الحرب، إن المدينة ستسقط عنوة، وتنتهك حرماتها، ويقتل رجالها، وتصطفى نساؤها وأطفالها أو يباعون فى الأسواق، وأن السلطان يقترح عليه أن يخرج الامبراطور من المدينة هو وأهله وحاشيته وبلاطه ومن شاء من أهل المدينة . . فليخرج بأمان، ويتعهد السلطان بحماية الباقين والمحافظة على حياتهم وممتلكاتهم، فما على الامبراطور إلا تسليم المدينة.

وكان جواب الامبراطور قسطنطين:

- إننى ليس لدى أى سلطة تبيح لى تسليم المدينة ولو كلفنى ذلك حياتى

*** فتح المدينة العظيمة**

بعد أن رفض الامبراطور قسطنطين تسليم المدينة، لم يعد أمام السلطان محمد الثانى إلا دخولها عنوة، فعقد مجلسه العسكرى فى السابع والعشرين من أيار عام

١٥٤٣ ميلادية فى معسكره أمام الأسوار وناقش قواده، فكانوا على رأيين:

الأول:

أنه لا داعى لبذل هذا المجهود العنيف، ولا داعى لكل هذه العمليات الحربية على المدينة المحاصرة **فانها ستسقط إن عاجلا أو آجلا**، ومن الخير ترك المدينة مؤقتا حتى يزداد مركز الجيش الاسلامى قوة وعزيمة **وفى نفس الوقت يدب الوهن والضعف فى قلوب المدافعين عنها وتصبح فريسة سهلة المنال.**

والثانى:

فقد نصح الجيش بالصبر والمصابرة، وتقوية الهجوم

وأيد هذا الرأى كبار قادة الجيش الإسلامى وعلى رأسهم السلطان محمد الثانى

وفى صبيحة اليوم السابع والعشرين من أيار أعد السلطان محمد الثانى الهجوم العام على المدينة، **فصام الجيش كله، وعلت الدعوات بانجاز الفتح** .

وأمر المدفعية بتحطيم الأسرار عند وادى ليكوس فصبت جحيمها عليه، ونظم الفرق التى ستقوم بالهجوم بحيث تهاجم فرقة من جهة معينة، ثم تخلى الطريق للفرقة الأخرى التى ستقوم بالهجوم بعدها **وبذلك تستطيع الجنود المهاجمة أن تأخذ قسطا من الراحة**، فى الوقت الذى يصاب فيه المدافعون بالارهاق والتعب.

وزار السلطان محمد الثانى كل أقسام الجيش الذى يحاصر المدينة وشجع الجنود وأشعل فى نفوسهم روح الحماس والتضحية.

وراحت مدفعية السلطان فى ضرب المدينة بلا هوادة أو توقف . . وكان من **أثر القصف العنيف الذى لا مثيل له أن جرح جون جوستنيانى قائد المدافعين واضطر سكان المدينة إلى نقله إلى داخل المدينة.**

وأسرع السلطان محمد الثانى إلى تنظيم جيشه على نسق نادر المثال وخطب فى جنوده . .

وكان مما قاله:

إنه بالإرادة القوية والعزيمة الصادقة والطاعة العمياء فى تنفيذ الأوامر واتباع النظام يكون النصر الذى لا مراء ـ لا شك ـ فيه باذن الله العزيز الحكيم

وتحت جنح الظلام الدامس تسلل جند الله حتى اقتربوا من الأسوار . . .

وتقدم الأسطول العثمانى واحتل بالقوة المواضع التى خصصت له، وهجمت هجوما عنيفا من كل جانب فى نقط عديدة.

ولكن الهجوم الرئيسى كان فى ناحية وادى ليكوس

كبر المسلمون أثناء هجومهم:

ـ الله أكبر، الله أكبر

وعلت الأصوات متضرعة إلى السميع المجيب باحراز النصر

واختلطت الضوضاء والصياح بين المهاجمين والمدافعين، وتمكن المسلمون من احداث عطب عظيم واخترقوا الخنادق وهاجموا السور الخارجى واشتبكوا برجال الدفاع، **وكان هجومهم كالطوفان الكاسح.**

ولاحظ السلطان محمد الثانى أن ما كان يبغيه من احداث الفوضى بين صفوف المدافعين قد تحقق فعلا.

عند ذلك دفع بجنوده الانكشاريين الذين لم يشتركوا فى القتال بعد . . فتقدموا فى وادى ليكوس كالأسود الضارية فلاقوا رجالا أنهكهم التعب والجوع وأثخنتهم الجراح

ولما اقترب الجنود المسلمون من الأسوار نزعوا علم الإمبراطور قسطنطين البيزانطى وعلم البندقية **ورفعوا راية الاسلام والمسلمين.**

وقتل الامبراطور قسطنطين وكان عمره تسعة وأربعين عاما

واستبيحت حرمة مدينة القسطنطية وأصبح كل شىء فيها للفاتحين

وقتل من البيزانطيين أربعون ألف مسيحى فى الحصار والهجوم

وقتل عدد كبير من الاغريقين وأخذ أبناؤهم ليتعلموا العربية ولغة القرآن

وضمت النساء إلى حريم السلطان العثمانى وحريم تابعيه

وفى الظهر دخل السلطان محمد الثانى الفاتح القسطنطينية من باب القديس رومانوس يمتطى صهوة جواد فى موكب حافل مهيب يتبعه وزراؤه وقواده وجنوده

وسار السلطان محمد الثانى الفاتح فى الشارع المؤدى إلى كنيسة سانت صوفيا، وترجل أمام الباب وانحنى ووضع خفنة من التراب على رأسه خضوعا لله عزوجل ودخل الكنيسة، حتى إذا وصل المذبح قابله رجال الكنيسة الذين فروا واختبأوا فيها، فأحسن استقبالهم، وأكد حمايته لهم

وطلب السلطان محمد الفاتح من المسيحين الموجودين فى الكنيسة مغادرتها إلى مساكنهم آمنين.

ثم أذن للصلاة

وصلى السلطان محمد الثانى الفاتح وصلى معه المسلمون فى الكنيسة . . لأول مرة

وأصبحت أياصوفيا مسجدا جامعًا من أعظم مساجد المسلمين

وبعث السلطان محمد الفاتح إلى أمراء المسلمين وسلاطينهم فى بقاع الأرض يخبرهم بهذا الفتح العظيم . . فتح القسطنطينية

*****

*** الفيزقوط**

كانت شبه الجزيرة الايبيرية تحكم من قبل الفيزقوط الذين تمكنوا من دخولها سنة ٤١٤ ميلادية، وسيطروا على المنطقة الشمالية الشرقية منها، وكانوا يدينون بالنصرانية، وبعد مائة سنة أو يزيد قليلا استطاع الفيزقوط أن يقيموا لأنفسهم دولة موحدة تسيطر على جميع شبه الجزيرة الايبيرية - اسبانيا - مع قطعة صغيرة من جنوب فرنسا

غير أنه من الملاحظ أن ملوك الفيزقوط الذين تتابعوا فى الحكم كانوا يعانون الضعف فى سيطرتهم على البلاد، إذ نشأ من دخولهم البلاد والتحكم فيها انقسامات عديدة بين الأهالى سكان البلاد فتولد اثر ذلك طبقة النبلاء وهم المقربون من العرش الملكى وعلى عواتقهم تقع مسئولية تكوين الجيش القوى والقادر على حماية الملك والدفاع عنه وحماية البلاد ودفع كل عدوان عليها.

وهناك طبقة غير النبلاء وهم سكان البلاد الأصليون الذين ينحدرون من أصل أسبانى، كما كان هناك أعداد كثيرة من الفلاحين وغيرهم الذين كانوا يعانون فى حياتهم أنماطا عديدة من الشقاء والتعاسة، مما أدى إلى انتشار الفساد فى البلاد فعم الظلم الاجتماعى من الاستغلال الطبقى بين فئات الشعب وبالتالى كثرت الشكاوى من الحكام وساد التذمر الدائم، وعمت النقمة بين أفراد الشعب على هذا السلوك، **واستحكم العداء بين أطراف وفئات الأهالى المتباينة.**

وقد ساعد على تمزيق الوحدة الوطنية اقتتال الطامعين فى العرش، فقد ذكرت بعض كتب التاريخ أن ابناوأبا كانا يحكمان شبه الجزيرة الايبيرية منذ ٦٨٧ ميلادية فأراد الابن واسمه وينزا أن يخلفه فى الحكم أحد أولاده واسمه آخيلا فقام بتعيينه دوقا على القسم الشمالى الشرقى من المملكة وأوصى له بولاية العهد، وعندما مات ويتزا عام ٧١٠ ميلادية رفض فريق النبلاء الاعتراف بآخيلا، وجعلوا روديك - وهو الذى سماه بعض المؤرخين: لذريق أوروذريق - ملكا عليهم، بعد أن قاموا بانتخابه فيما بينهم.

غير أن آخيلا قد احتفظ بدوقيته حتى أنه قام بضرب نقوده الخاصة، واعتبر رودريك مغتصبا، وسعى لخلعه عن العرش واعتلى العرش بنفسه.

وخاض رودريك أكثر من معركة ضد آخيلا

وعندما نزل المسلمون شبه الجزيرة الايبيرية كان منشغلا فى الحرب فى الشمال

وتذكر بعض المصادر التاريخية وهى تتحدث عن فتح الأندلس ومقدماته:

ان آخيلا اتصل بطارق بن زياد الذى كان معسكرا بجنوده فى طنجة البالغ عددهم اثنا عشر ألف رجل وقال له:

ـ إن أبى مات ووثب على مملكتنا بطريق ـ نبيل ـ يقال له: لذريق ـ رودريك ـ وبلغنى أمركم وجئت إليكم أدعوكم إليها ـ إلى اسبانيا ـ وأكون دليلكم عليها

ومن هذا وذاك نلاحظ الانقسامات بين طبقة النبلاء فيما بينهم، وكانت فئات الشعب المغلوبة على أمرها والمتسلط عليها تنظر إلى المسلمين على أنهم أطواق نجاة ومحررون من الإستعباد ومنقذون من الظلم والإستبداد

*** مقدمات الفتح**

بسط حسان بن النعمان الغسانى سيطرته على جميع مناطق ولاية افريقيا بعد أن قضى على ثورة الكاهنة

ولما عين موسى بن نصير واليا على افريقيا استأنفت الحركات العسكرية، فقام موسى بن نصير بعدة حملات تمكن من خلالها اخضاع جميع الساحل الافريقى الشمالى لسلطان العرب المسلمين، ونشر الأمن والسكينة فى ربوعها، ولم يبق خارج سلطته **سوى مدينة سبته البيزنطية التى كان عليها حاكم بيزنطى يدعى يوليان** الذى قام بدوره بتحريض قادة الجيش الاسلامى ـ بعد أن صالحهم على مدينة سبته فأبقوه فى منصبه ـ وأمدهم بما يملك من مساعدة مادية ورأى ومعلومات.

وفى عام ٩١ من الهجرة الموافق ٧١٠ ميلادية حصل موسى بن نصير على موافقة الخليفة الوليد بن عبدالملك بفتح الأندلس، ولكن بشرط أن يسبق عملية الفتح عملية استكشافية، **فبعث موسى بن نصير طريف بن مالك أحد قادته** على رأس قوة تتألف من أربعمائة مقاتل من المشاة ومائة من الفرسان للقيام بغارة استطلاعية على شواطئ جنوب أسبانيا، فركبوا فى ست سفن، فرست عند شبه

جزيرة تعرف الآن باسم **جزيرة طريف أو الجزيرة الخضراء**، ونجحت غارة طريف ابن مالك وأصاب المسلمون فيها أموالا كثيرة وغنائم ثم عادوا ولديهم من **المعلومات عن أحوال البلاد المضطربة**

فكانت من العوامل التى شجعت موسى بن نصير على الفتح

*** مسيرة الفتح**

وفى عام ٩٢ من الهجرة قام موسى بن نصير بارسال طارق بن زياد مولاه ـ فتاه ـ الذى كان من البربر وأدخله موسى فى قواته ـ على رأس قوة تتألف من سبعة آلاف مقاتل معظمهم من البربر، ثم أمده موسى بخمسة آلاف رجل من البربر أيضا لغزو شبه الجزيرة الايبيرية

وعبر طارق بن زياد بجيشه البحر، ثم عمد إلى السفن فحرقها ـ قيل: إن طارق بن زياد أمر بعودة هذه السفن إلى البر الافريقى كى تأتيه بالمدد ـ التى حملت جنوده، وألقى مراسيه على مقربة من الصخرة ـ جبل عال سمى جبل **طارق ـ والتى حملت هى والمضيق ـ مضيق جبل طارق ـ اسمه إلى يومنا هذا وعلى مدى التاريخ تخليدا لذكراه**

ثم وقف طارق بن زياد خطيبا وكان مما قاله:

ـ البحر من ورائكم، والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر

ولما نزل طارق بن زياد مع جنده فى جنوبى الأندلس فى شهر رجب من عام ٩٢ للهجرة الموافق شهر نيسان من عام ٧١١ ميلادية **كان رودريك غائبا مع قواته** فى الشمال، وقد مكن غيابه طارق بن زياد وجنده من تأسيس قاعدة لهم فى منطقة الجزيرة الجنوبية

*** معركة وادى لكه ـ وادى البحيرة ـ**

لما علم رودريك بخبر طارق بن زياد وما فعله عظم ذلك عليه، وكان غائبا عن بلاده فرجع إليها وجمع جمعا غفيرا لطارق بن زياد يقال:

إنه بلغ مائة ألف مقاتل

والتقى الجمعان فى معركة سميت: معركة وادى لكه ـ وادى البحيرة ـ وذلك

فى الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ٩٢ من الهجرة

وكانت معركة حامية دامت ثمانية أيام متواصلة، اشتد فيها القتال، وقتل فيها خلق كثير، حتى ظن الناس أنه لا بقاء لهم اليوم وأنه الفناء الذى لابد منه، **وثبت الله الذين اتقوا وضرب أعداءه فانهزموا، فكان النصر مع طارق بن زياد وجنده.**

ولحق جيش طارق بن زياد عدوهم وأدركوا لذريق ـ رودريك ـ فقتلوه ـ وقيل: انه غرق فى النهر ـ بوادى الطين، وركب المسلمون ظهور أعدائهم وعملوا فيهم السيف بين قتل وجرح.

وعلى الرغم من أن الجبل كان وعر المسالك إلا أن المسلمين كانوا أسرع باللحاق بأعدادئهم، ومازالوا يطاردوتهم فى كل مكان حتى أبادوهم

*** فتح قرطبة**

فى هذه المعركة قضى طارق بن زياد قضاء مبرما على القوة العسكرية العظمى للفيزقوط، كما هدم كيانهم الإدارى، ونظامهم السياسى فى شبه الجزيرة الايبيرية

وكانت هذه المعركة من أشد المعارك فى الأندلس على طارق بن زياد، حيث لم يلق المسلمون حربا مثلها بعد.

ونزل طارق بن زياد على عين ـ بئر ـ بينهما وبين مدينة إستجة أربعة أميال فسميت: **عين طارق إلى الآن** ولاحظ طارق بن زياد أن أسبانيا قد أصبحت بلدا يسهل فتحها أو إن شئت فقل:

بلدا مفتوحا أمامه، ولن يحول بينه وبين فتحها قوة لها أثر يذكر

واندفع طارق بن زياد نحو قرطبة ففتحها

ثم توجه نحو طليطلة عاصمة البلاد وأهم المراكز الرئيسية، وذات الأهمية الكبرى فيها، فواجه طارق بن زياد وجنده فيها بعض المقاومة، وفى نهاية الأمر تمكن من فتحها

ثم سار طارق بن زياد إلى وادى الحجارة فقطع الجبل، وانتهى إلى مدينة تقع خلف الجبل تسمى: **مدينة المائدة**، وجد فيها مائدة نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام **وكانت من زبرجد أخضر، حافتاها وأرجله مكللة باللؤلؤ والمرجان**

والياقوت، ولها ثلاثمائة وستون رجلا ـ قائمة ـ

ولم يبق أمام طارق بن زياد بعد ذلك إلا **مدينة سرقسطة**، فأرسل إليها بعض القوات الإستطلاعية

*** موسى بن نصير يفتح إشبيلية**

لما علم موسى بن نصير بما فتح الله عزوجل على فتاه طارق بن زياد تحرك هو الآخر ليكون له دور بالفتح فسار من افريقيا نحو طنجه، ثم عبر البحر بقواته التى بلغت ثمانية عشر ألف مقاتل، وكان ذلك فى شهر رمضان سنة ٩٣ من الهجرة الموافق تموز سنة ٧١٢ ميلادية، فاندفع بجنوده نحو **مدينة إشبيلية** وهى من أعظم مدن الأندلس بنيانا وأكثرها آثارا فحاصرها أشهرا، وتمكن من فتحها بعد مقاومة وقتال شديدين، ثم سار بقواته إلى **مدينة ماردة** التى تقع شمال مدينة إشبيلية، حيث تجمع فيها البقية التى انسحبت من قوات الفيزقوط، فحاصرها

وخرج أهل مدينة ماردة إلى موسى بن نصير فقاتلوه قتالا شديدا، فكمن لهم موسى مع جنده ليلا فى مقاطع الصخر فلم يرهم الفيزقوط، فلما كان فجر يوم الغد زحف موسى بن نصير نحوهم، فخرجوا لقتال المسلمين على عادتهم، فخرج عليهم موسى ومن معه من مكمنهم وأحدقوا بهم، وحالوا بينهم وبين ماردة، وقاتلوهم قتالا ذريعا، ونجا من نجا منهم.

وتابع موسى بن نصير عليهم الحصار مرة ثانية . . فتم له الفتح يوم الفطر من سنة ٩٤ من الهجرة صلحا على أن جميع أموال القتلى يوم الكمين وأموال الهاربين وأموال الكنائس وما فيها من حلى وغيره للمسلمين

*** لقاء موسى بن نصير وطارق بن زياد**

سار موسى بن نصير من ماردة فى شوال سنة ٩٤ من الهجرة يريد طليطلة، فخرج إليه طارق بن زياد فلقيه موسى بن نصير، **وكان بينهما عتاب** فقال موسى:

ـ كيف تتوغل فى البلاد قبل أن ترجع إلى تستأذننى؟ أو تعلمنى بالأمر

قال طارق بن زياد:

ـ إنما هذا الفتح لك، وإنما أنا مولاك

فقبل موسى بن نصيرمنه بعد أن استرضاه، وسارا معا إلى طليطلة حيث أمضيا فيها شتاء هذا العام ٧١٣ ـ ٧١٤ ميلادية

وبدأت من موسى بن نصير وطارق بن زياد أول الأعمال التنظيمية للبلاد التى فتحوها

وقام موسى بن نصير بضرب أول نقد عربى إسلامى فى أروبا

ومن طليطلة أرسل موسى بن نصير رسولا إلى الخليفة الوليد بن عبدالملك بدمشق يخبره بأخبار الفتح فى الأندلس

*** عودة موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى دمشق**

بعد سنة سار موسى بن نصير وطارق بن زياد نحو **سرقسطة** فافتتحاها، وأرسلا منها حملة استكشافية وصلت حتى **أربونة** ـ لأن المملكة الفيزقوطية كان من ضمنها أراض من جنوب شرقى فرنسا بما فى ذلك أرض وأماكن واقعة على البحر المتوسط ـ وسار موسى بن نصير بقواته فتوغل فى **منطقة أستوريش** الساحلية **كما قام طارق بن زياد بفتح مدينة ليون، وبلدة أشتورقه، كما أخضع أرغون**

وفى هذه الآونة وافى موسى بن نصير رسول الخليفة الوليد بن عبدالملك يأمره بالخروج من الأندلس والعودة إلى دمشق للمثول بين يدى الخليفة.

لكن موسى بن نصير ماطل قليلا وتأخر عن الرجوع إلى دمشق، فوافاه رسول آخر من قبل الوليد بن عبدالملك يستحثه على العودة إلى دمشق

فالتقى موسى بن نصير بطارق بن زياد ومضيا معا عائدين إلى الخليفة الوليد ابن عبدالملك

*** أسباب استدعاء الخليفة لموسى بن نصير**

أراد الخليفة الوليد بن عبدالملك أن يتعرف عن كثب ما فتح الله على موسى ابن نصير وطارق بن زياد فى تلك البلاد، ويتدارس معهما خطط المستقبل، كما **أراد الخليفة محاسبة طارق بن زياد وموسى بن نصير على الغنائم** وما أنفقاه منها، **ولعل الخليفة الوليد بن عبدالملك لمس من موسى بن نصير أنه يريد الإستقلال بنفسه عن الدولة السفيانية، وخاصة بعد ما علم أن موسى بن نصير قد عين ولده عبدالله واليا على افريقيا، وولده عبدالملك والياً على المغرب، وولده عبدالعزيز واليا**

على إشبيلية ليحكم منها اسبانيا

*** حبس موسى بن نصير**

غادر موسى بن نصير مع فتاه طارق بن زياد بلاد الأندلس فى خريف عام ٩٥ من الهجرة، بعد أن استخلف موسى بن نصير على الأندلس ابنه عبدالعزيز، وجعل ابنه عبدالملك واليا على المغرب، كما استخلف ولده الكبير عبدالله على افريقيا، وكان بصحبة موسى وطارق قافلة كبيرة من الغنائم تحمل كثيرا من الأموال والتحف والجواهر، فعبرت القافلة مصر، فلما جاوزت العريش جاء موسى بن نصير كتاب الخليفة الوليد بن عبدالملك يستعجله بالوصول إليه

فأسرع موسى بن نصير ومن معه حتى وصلوا دمشق، وكان الخليفة الوليد بن عبدالملك مريضا يقيم فى غوطة دمشق، فلما وصل موسى بن نصير إليه دفع الأموال وكل ما كانت تحمله القافلة إلى الخليفة ولم يلبث الوليد بن عبدالملك بعد ذلك إلا ثلاثة أيام حتى مات

وبويع بالخلافة لأخيه سليمان بن عبدالملك، وكان ساخطا كل السخط على موسى بن نصير فحبسه وأمر بتعذيبه وعزم على قتله

وقيل:

إن موسى بن نصير وطارق بن زياد دخلا دمشق ومعهما أربعين أميرا من أمراء الفيزقوط ومعظمهم من أفراد الأسرة المالكة يلبسون التيجان ومعهم عدد كبير من القواد والأسرى المحملين بالغنائم الوفيرة، والتحف النادرة

وقد دخل موسى بن نصير وطارق بن زياد دمشق فى شباط عام ٧١٥ ميلادية الموافق ٩٦ من الهجرة

فأمر الخليفة بن الوليد بن عبدالملك بأن يجرى للقائدين المظفرين أروع استقبال وأكرمه فى ساحة المسجد السفيانى، حيث قدم مئات من الأسبان وأعداد كثيرة من الأسرى خضوعهم وطاعتهم لأمير المؤمنين

والله أعلم

*** ومرت السنون**

ومرت السنون وتتابع الولاة أحدهم بعد الآخر ما يقرب من عشرين واليا

يحكم الأندلس بعد مقتل عبدالعزيز بن موسى بن نصير ـ الذى استخلف ولده عبدالعزيز على الأندلس ـ قبل مغادرته لها عائدا إلى الخليفة الوليد بن عبدالملك بدمشق

كان حكم بعض هؤلاء الولاة يزيد عن خمس سنوات، وكانت ولاية بعضهم مؤقتة إلى أن يعين الخليفة غيره من قبله، حيث تكون ولايته قصيرة، وقد غلبت على ولايتهم الحرب الخارجية من الفيزقوط المغلوبين أو من جراء فتن أهلية ـ داخلية ـ

وكان من أشهر هؤلاء الولاة عبدالرحمن بن عبدالله الغافقى الذى ولى الخلافة ما بين عام ١١٢ ـ ١١٤ من الهجرة، وعبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك الذى لقب فيما بعد بالداخل:

عبدالرحمن الداخل الذى لقى فى ولايته نجاحا فى اخماد الثورات والفتن الداخلية واحدة بعد الأخرى، ولاقى نجاحا أعظم فى ملاقاته لجيش شارلمان بعد أن عبر هذا بقواته جبال البرانس، وأوقع المسلمون أكبر هزيمة بجيش شارلمان فكان من بين القتلى عدد كبير من النبلاء، فنال عبدالرحمن الداخل استحقاق واعجاب معاصرية حتى دعاه أبو جعفر المنصور الخليفة العباسى بـصقر قريش

وتوفى عبدالرحمن الداخل فى ٢٥ ربيع الآخر من عام ٧١٢ من الهجرة عن عمر يناهز الستين

وتتابع بعد عبدالرحمن الداخل عدّة ولاة إلى أن كان عصر **عبدالرحمن الثالث الذى لقب نفسه بالناصر**

أعلن الناصر بالخلافة لنفسه عام ٧١٦ من الهجرة وشجعه بالقيام على هذه الخطوة ضعف الخلافة العباسية فى المشرق، وقيام الخلافة الفاطمية فى المغرب، **والذى استطاع خلال العشرين سنة الأولى من حكمه توحيد الأندلس واعادة سيطرة المسلمين عليها.**

*****

المراجع

* القرآن العظيم
* فتوح البلدان — أبو الحسن البلاذرى
* الكامل فى التاريخ — ابن الأثير
* تاريخ الأمم والملوك — الطبرى
* معجم البلدان — ياقوت الحموى
* أخبار مكة — الأزرقى
* أنساب الأشراف — البلاذرى
* البداية والنهاية — ابن كثير
* النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة — الأتابكى
* فتح مصر — ابن عبد الحكيم
* فتح المغرب العربى — محمود شيت خطاب
* الدولة الأموية — محمد الخضرى
* رحلة الأندلس — حسين مؤنس
* مروج الذهب — المسعودى
* المصنف فى الأحاديث والآثار — ابن أبى شيبة
* مصر فى القرآن والسنة — عبد العزيز الشناوى

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

مطبعة جزيرة الورد

المنصورة ـ نوسا البحر

☎ ٤٤١١٩١/٠٥٠